المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثالث والثلاثين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٨ — الموافق ٣٠ ربيع اول سنة ١٣٢٦

الصروح الشاهقة

لا سبيل لنا للاستدلال على الزمن الذي ابتدأ الناس يبنون فيهِ بيوتهم · فقد اقاموا اولاً بين اغصان الاشجار هَرَبًا من الوحوش الضواري التي امتلأَت بها الارض في العصور الغابرة كما يستدلُّ من شكل اياديهم ومن بديهياتهم الحسابية حتى اقدامهم مع ما اصابها من التغير بواسطة المشي مدة قرون كثيرة لا تزال تميل الى التمسك بالعيدان كما ترى اذا لمست قدم طفل بعصًا دليلاً على انها كانت تستعمل للاعتراش قبل المشي

ثم سكن الناس الكهوف الطبيعيَّة كما يظهر من آثارهم الباقية فيها · لكن الكهوف لا توجد الَّا في البلدان الجبليَّة الصخرية فالذين اضطروا الى سكن السهول الواسعة حيث لا اشجار ولا كهوف صنعوا الخيام وسكنوها او حفروا اوجارًا في الارض وشادوا جدرانها بالطين او صنعوا اللبن وبنوا بهِ اكواخًا شبيهة بالكهوف

ولا ندري كم مرَّ من السنين والقرون قبلما اتَّصل الناس الى قطع الحجارة ونحتها وبناء الابنية الكبيرة بها ولكننا نعلم انهم فعلوا ذلك في هذا القطر منذ اكثر من ستة آلاف سنة والاهرام اكبر شاهد عليهِ وهي تدلُّ على انهم لما بنوها كانوا قد بلغوا درجة سامية من اتقان قطع الصخور وجر الاثقال ورفعها والصاق الحجارة بطين مجبول من الجير (الكلس) والرمل يجمد مع الزمن ويصير كالصخر الاصم متانةً · وكانوا قد برعوا في رسم الاشكال الهندسيَّة وتحقيق الجهات وضبط الزوايا ونحت المرمر وصقلهِ ومعرفة سير بعض الكواكب ونحو ذلك مما يعجز عنهُ ابناءُ هذا القطر الآن · اي ان عمران مصر من حيث المهارة في البناء والهندسة كان منذ ستة آلاف سنة ارقى من عمرانها الحاضر اذا قصرنا النظر على اهلها وعلى كل الشرقيين المقيمين فيها

اما الزمن الذي مرَّ من حين كان الانسان يسكن الاشجار والكهوف الى ان صار يبني الاهرام فلا يعلم مقدارهُ الاَّ الله ولا يكفي لتقديرهِ الالوف من السنين لانهُ يقدر بالملايين اذا كانت نواميس الطبيعة قد جرت في الزمن الماضي كما هي جارية الآن

ولم يكتفِ الذين بنوا الاهرام باحكام هندستها وبنائها بل بلغوا في اعلائها حدًّا لم يصل اليهِ ابناء هذا العصر حتى من الاوربيين والاميركيين الاَّ في اواخر القرن الماضي ولم يفوقوهُ الاَّ في هذا القرن. لكنهم ان كانوا قد قصَّروا عن الاقدمين من حيث ارتفاعُ البناء وضخامتهُ ومتانتهُ فقد فاقوهم جدًّا من حيث استخدام اقل ما يكون من المواد لاكثر ما يكون من الايواء اي من حيث الاقتصاد الفني في علم البناء

اليكَ عن الاهرام والهياكل فقد يقال ان الغرَض منها اظهار العظمة والمهابة لا ايواء الناس ولا جمع التجار فلا عجبَ اذا كانت سميكة الجدران كالقلاع المشيدة. ولكن ما قولك في بيوت السكن فبيت رعمسيس في مدينة هبو امام الكرنك غرف صغيرة وجدران ضخمة جدًّا كانها مبنيَّة لتشاد عليها قلعة من القلاع. وكل ما بنوهُ من الحجر لم يحفظوا فيهِ النسبة بين السعة وما يلزم لها من المتانة اي لم يكن للاقتصاد شأن كبير عندهم وهذا اكبر فارق بين مبانيهم الشاهقة ومباني هذه الايام

لم نكن نرى في هذه العاصمة منذ عشرين عامًا بناء يزيد على اربع طبقات واكثر الابنية كان من طبقتين او ثلاث. ثم اجترأ البنَّاؤُون في العامين الاخيرين على بناء خمس طبقات واوصلوها اخيرًا الى ست طبقات وهي غاية ما وصلوا اليهِ حتى الآن. وقد يظن لاول وهلة ان ارض العاصمة لا تحتمل ارتفاعًا في البناء اكثر من ذلك لان لا صخر فيها وهذا خطأٌ لأَن مآذن الجوامع تبلغ في ارتفاعها اربعين مترًا او خمسين او اكثر فاذا كان ارتفاع الطبقة اربعة امتار كما هو الشائع الآن امكن ان يجعل منها عشر طبقات او اكثر في البناء الواحد ولذلك لا يستبعد ان تبنى في الاسمعيليَّة مبانٍ فيها عشر طبقات وارتفاعها اكثر من اربعين مترًا

ولم يهتم اهالي اوربا حتى الآن برفع مبانيهم الى اكثر من ست طبقات الاَّ في ابراج الكنائس والمباني العمومية. اما اهالي اميركا ففاقوا هذا الحد وبعدوا عنهُ بعدًا شاسعًا فاهالي شيكاغو بنوا "وكالات" كبيرة في الوكالة منها عشرون طبقةً او خمس وعشرون كما ترى في الشكل المقابل وهو صورة بناء من ابنيتهم التي بنيت منذ بضع عشرة سنة. واهالي نيويورك فاقوا هذا الحد حدًّا فمنذ ثلاثين سنة كانت مبانيهم العالية لا تزيد على ست طبقات

الى ثمانٍ وكانت كلها مبنيَّة بالحجر والقرميد (الطوب الاحمر) ثم جعلوا يبنونها بالحديد والسمنت اي يجعلون الزوايا والعضائد من الحديد الصلب (الفولاذ) ويمدون قضبان الحديد بينها ويشيدون الجدران بالسمنت فاستطاعوا بعد عشر سنوات ان يبلغوا في اعلائها ١٦ طبقةً لا رغبة في التباهي باعلاء المباني بل اضطراراً من باب الاقتصاد وطلب الربح وتسهيل الاعمال لاتساع حركة التجارة واضطرار اصحاب المتاجر الواسعة والمعامل الكبيرة الى ان يكونوا في بقعة واحدة قريباً بعضهم من بعض على قدر الامكان

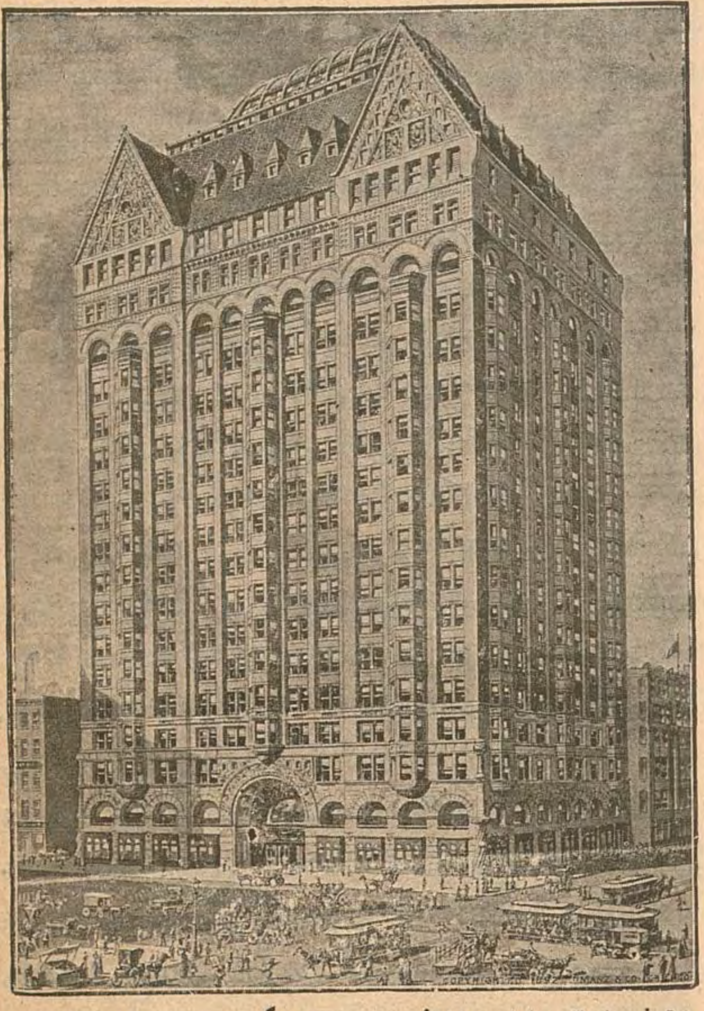

وكان الناس اولاً يفضّلون الطبقات السفلى لسهولة الصعود اليها فلما أُتقنت الروافع الكهربائيَّة وجُعل منها العدد الكافي في البناء الواحد حتى يسهل على كل المقيمين فيهِ ان

يصعدوا اليهِ وينزلوا منهُ في دقائق قليلة وان يصلوا الى اعلى طبقة منهُ في دقيقة او دقيقتين من الزمان صاروا يفضّلون الطبقات العليا على السفلى لكثرة نورها وطلاقة هوائها

ثم فاقت المباني الحديثة هذا الحد وخطت فوقهُ خطوة الجبارين فبلغت طبقاتها ثلاثاً وثلاثين طبقة في بناء شركة تثمير الاموال (ستي انڤستمنت) الذي رسمناهُ في صدر هذه المقالة فان هذه الوكالة العظيمة مبنيَّة بالحجر الجيري الى آخر الطبقة السادسة والبناء فوقها بالقرميد والخزف المدهون وبراويزهُ من النحاس · والناظر اليها يظنها اكبر من شبرد او الكنتيننتال من فنادق القاهرة ولكنها ليست كذلك من حيث مساحة ارضها لانها لا تزيد على ١٣٠٠ متر مربع ومع ذلك فيها من الغرف ما مساحة ارضهِ نحو اربعين الف متر مربع · وارتفاع اعلى قببها ٤٨٠ قدماً او ١٤٤ متراً وفي اخفض اقسامها ٢٦ طبقةً ارتفاعها ٣٧٠ قدماً او ١١١ متراً وترى امامها بناءً عادياً فيهِ ست طبقات الدكاكين في الطبقة السفلى منهُ وفوقها خمس طبقات وهو يظهر امام الوكالة العالية كالطفل الصغير امام الجبار الكبير

وقد بني الآن بجانب هذا الجبار برج شاهق لشركة سنجر ارتفاعهُ عن سطح الارض ٦١٢ قدماً او نحو ١٨٦ متراً وهو ٤٧ طبقة مملوءَة بالمكاتب اي انهُ ليس برجاً كابراج الكنائس والمباني العمومية بل هو وكالة كبيرة في كل طبقة من طبقاتها غرف كثيرة . واعلى من هذا البرج برج بناء شركة ضمانة الحياة المعروفة بالمتروبوليتان فان ارتفاعهُ ٦٥٨ قدماً او ٢٠٠ متر وهو ايضاً وكالة كبيرة كل طبقة منها دور كثير الغرف فهو يفوق اهرام مصر في ارتفاعهِ وكلَّ بناءٍ بناهُ الناس حتى الآن ما عدا برج ايفل فان ارتفاع الهرم الاكبر من اهرام مصر كان ٤٨١ قدماً قبلما قطع رأسهُ

وقد فعل الاميركيون في مدينة نيويورك ما فعلهُ الناس في القاهرة هدموا المباني القديمة ولو كانت فاخرة وبنوا مكانها هذه المباني العالية اقتصاداً في الارض لغلائها وتقريباً لاصحاب المتاجر والاعمال بعضهم من بعض وساعدهم على اعلاء المباني اعتمادهم على الحديد والسمنت في بنائها واتقانهم للروافع المائية والكهربائية فقد وجدوا انهُ يدخل بعض هذه المباني بين الساعة التاسعة والحادية عشرة صباحاً عشرة آلاف نفس اي يدخلها في الدقيقة من الزمان اكثر من ٨٠ نفساً فلا يتيسَّر لهم ذلك من غير ازدحام الاَّ اذا كان فيها روافع كثيرة ولا تصلح الرافعة الواحدة لكل الطبقات اذا كان في الوكالة ثلاثون طبقةً او اربعون لانها توجب على سكان الطبقة العليا ان يقفوا ثلاثين مرةً او اربعين قبل ان يصلوا الى طبقتهم فاذا كان في الوكالة ٣٢ طبقة كما في اكثر الوكالات الكبيرة بنيويورك جُعل فيهما ٢٢ رافعةً

او اكثر حتى يصل كل انسان الى طبقتهِ باسرع ما يمكن . واذا حدث ما يستدعي خروج الناس كلهم من الوكالة فالروافع تخرجهم كلهم باسرع ما يمكن من الوقت على قدر ما تحتمل الشوارع مرورهم فيها

وهذه الوكالات كلها غير قابلة الاحتراق لان ليس في بنائها شيء من الخشب بل كل ما فيها حجر واجر وحديد وسمنت حتى ابوابها وشبابيكها ليست من الخشب بل من الحديد ولو كانت مدهونة بدهان يشبه الخشب فهي مأمونة من النار . ويقال انها مأمونة ايضاً من الزلازل والزوابع ولكنها تحجب نور الشمس عن الشوارع ولعلها بلغت الحد الذي يقف عندهُ الانسان

الذهب في العالم

كثر كلام الناس في هذه الايام على مقدار الذهب المستخرج من مناجم العالم ونسبة ما استخرج منهُ في العام الماضي الى ما استخرج في السنوات السابقة فرأينا ان نورد شيئاً في هذا الموضوع لعلَّ منهُ فائدة للقراء

زاد مجموع ما استخرج من الذهب في السنة الماضية زيادة قليلة عما كان عليهِ في السنة التي قبلها . والسبب في ذلك المناجم الافريقية وخصوصاً مناجم الرند في الترنسفال لان مناجم استراليا والولايات المتحدة وروسيا وكندا وغيرها انتجت اقل مما انتجتهُ سنة ١٩٠٦ فنقص ما استخرج منها ٧٢٠٩٦٥ اوقية عما كان تلك السنة ولكن ما استخرج من مناجم الرند زاد ٩٥٥١٥١ اوقية فزاد بذلك مجموع الذهب المستخرج ٢١٤١٨٦ اوقية عن مثلهِ سنة ١٩٠٦

ويظهر من الجدول الآتي مقدار الذهب الذي استخرج في السنين الاثنتي عشرة الماضية مع بيان قيمتهِ بالجنيهات الانكليزيَّة

سنة	اوقية	جنيهات انكليزية
١٨٩٥	٠٩٦٥٢٠٠٣	٤٠٩٩٩٧٧٨
١٨٩٦	٠٩٨٢٠٠٧٥	٤١٧٠٣٧١٥
١٨٩٧	١١٤٨٣٧١٢	٤٨٧٨ ٥١١
١٨٩٨	١٤٠١٦٣٧٤	٥٩٥٣٨٦٥٢
١٨٩٩	١٥٢٢٠٢٦٣	٦٤٦٥٢٦٦٣

١٩٠٠	١٢٦٨٤٩٥٨	٥٣٨٨٣١٦٤
١٩٠١	١٢٨٩٤٨٥٦	٥٤٧٧٤٧٦٩
١٩٠٢	١٤٤٣٧٦٦٩	٦١٣٢٨٣٣٠
١٩٠٣	١٥٧٧٨٠١٦	٦٧٠٢١٨٥٦
١٩٠٤	١٦٧٣٩٤٤٨	٧١١٠٥٨٢٧
١٩٠٥	١٨٢٩٠٥٦٧	٧٧٦٩٤٦٧٠
١٩٠٦	١٩٣٧٠٦٥٣	٨٢٢٨٢٦٨١
١٩٠٧	١٩٥٨٤٨٤٤	٨٣١٩٢٥٠٠

وقد زاد استخراج الذهب زيادة عظيمة منذ سنة ١٨٨٣ واستمرت زيادتهُ نحو ربع قرن ولم تقلَّ الاَّ مدة حرب الانكليز والبوير . وقد بلغ ما استخرج من مناجم الرند في السنة الماضية ٦٢٢٠٢٢٧ اوقية وما استخرج منها ومن باقي مناجم افريقية نحو ٧٥٣٦٨٣٦ اوقية قيمتها ٣٢٠١٤٥٢٨ جنيهاً انكليزيًّا فيكون ما انتجتهُ القارة الافريقية ٤٠ في المئة من مجموع ما جادت بهِ مناجم العالم كلهِ

ويقدَّر انهُ استخرج ٤٣٣٠١٨٣ اوقية من الذهب من الولايات المتحدة سنة ١٩٠٧ فنقص ٢٣٠١٥٠ اوقية عن السنة السابقة

وكذلك شمل النقص استراليا وكانت كمية ما يخرج من مناجمها قد اخذت في الانحطاط سنة ١٩٠٦ فتوالى هبوطها ايضاً في السنة التالية فكانت ١٧٩٤٥٤٢ اوقية في الاولى فنقصت حتى بلغت ١٦٩٧٥٩ اوقية في الثانية

وما يقال عن الولايات المتحدة واستراليا يقال ايضاً عن كندا فان مناجمها انتجت ٤٠٨٧٢١ اوقية سنة ١٩٠٧ اي ١٧٢٩٣٩ اوقية اقل من السنة التي قبلها . وقد كان اكبر مقدار اخرجتهُ تلك المناجم في سنة ١٩٠٠ فبلغ ما استخرج من مقاطعة يوكون ١٣٥٠٤٧٥ اوقية مقابل ١٣٦٢٧٤ اوقية فقط سنة ١٨٩٦ . ونقص ايضاً مقدار الذهب المستخرج من روسيا والهند نقصاً قليلاً واما المكسيك فتقدمت من هذا القبيل وبلغ ما استخرج منها ٩٢٥٠٠٠ اوقية وكذلك اميركا الجنوبية فان الخارج من مناجمها زاد من ٥٠٠ الف الى ٦٠٠ الف اوقية

والجدول الآتي يتضمن بيان مقدار الذهب الذي استخرج في السنوات الثلاث الاخيرة من اهم البلدان التي توجد مناجمهُ فيها

	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩٠٧
افريقيا	٥٤٩٤٤٧٣	٦٦٠١٦٨٥	٧٥٣٦٨٣٦
استراليا	٤٢٣٢٠٩١	٢٩٦٤٦٣٠	٣٦١٩١٠٤
الولايات المتحدة	٤٢٦٥٧٤٢	٤٦٤٨٩١٣	٤٣٣٥١٨٣
روسيا	١٠٧٨٣٥٦	٠٩٤٣٠٥٦	٩٠٠٠٠٠٠

وقد جاء في احد الاحصاءات الاخيرة انهُ استخرج من الذهب في العالم من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٩٠٧ ما قيمتهُ ١٠٥٨٩٨١٠٠٠ جنيه انكليزي

وقدرت قيمة ما كان في البنوك الكبيرة من الذهب في بلدان مختلفة في شهر دسمبر من سنتي ١٩٠٦ و ١٩٠٧ فكان كما يأتي وهو بالجنيهات الانكليزيَّة

	دسمبر ١٩٠٧	دسمبر ١٩٠٦
انكلترا	٠٣٢٥٤٤٠٠٠	٠٣٠٢٨٣٠٠٠
فرنسا	١٠٧ ٤٧٠٠٠	١٠٦٥٩٣ ٠٠
المانيا	٠٢٤٨٧٧٠٠٠	٠٢٤٠٦٩٠٠٠
روسيا	١١٨٢١٠٠٠٠	١١٧٥٨٠٠٠٠
النمسا والمجر	٠٤٥٨٣٧٠٠٠	٠٤٦٦٠٩٠٠٠
اسبانيا	٠١٥٦٥٤٠٠٠	٠١٥٤١٤٠٠٠
ايطاليا	٠٣٦٤٥٧٠٠٠	٠٣٢٠٣٣٠٠٠
هولندا	٠٠٧٦٤٩٠٠٠	٠٠٥٥٣٧٠٠٠
البلجيك	٠ ٣٥٣٥٠٠٠	٠٠٣٣٥١٠٠٠
اسوج	٠٠٣٩٠٦٠٠٠	٠٠٣٩٤٧٠٠٠
سويسرا	٠٠٣٠١٩٠٠٠	٠١١٠٠٠٠٠٠
نروج	٠٠١٧٠٢٠٠٠	٠٠١٦٠٠٠٠٠
نيويورك	٠٣٨٤٢٤٠٠٠	٠٣٤٥٩٠٠٠٠
	٤٣٨٨٥٨٠٠٠	٤٢٤٧٦٥٠٠٠

فيرى القارئ ان المخزون في هذه البنوك زاد ١٤٠٩٣٠٠٠ جنيه انكليزي في السنة الماضية

وقد بلغت قيمة الذهب المرسل من مناجم جنوبي افريقية الى البلاد الانكليزية من غرة فبراير الى آخر مارس ٥١٦٤٦٩١ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

١ فبراير	٣٩١٧١٧ جنيهاً
٨ "	٥٧٧٣٤١ "
١٥ "	٤٣١٧٥٤ "
٢٢ "	٥٥٣٩٤٩ "
٢٩ "	٨٢١٥٠٨ جنيهات
٧ مارس	٤٣٨٣٠٣ جنيهاً
١٤ "	٥٢١٣٩٣ "
٢١ "	٤٦٠٥٧٠ "
٢٨ "	٩٦٨١٥٦ "
	٥١٦٤٦٩١

ثم وصل في ٤ ابريل ما قيمتهُ ٣٨٣٥٨٣ جنيهاً وبعد اسبوع ما قيمتهُ ١٠٥٠٠٨٢ جنيهاً والجملة نحو ستة ملايين وستمائة الف جنيه ولا يبعد ان يبلغ كل ما ارسل هذا العام الى آخر ابريل نحو ١٢ مليوناً من الجنيهات وكل ما يرسل في السنة كلها الى آخرها ٣٦ مليوناً من الجنيهات

ويرسل الذهب من مناجم جنوب افريقية الى مدينة الراس سبائك ومنها يشحن الى لندن حيث يستلمهُ وكلاء المناجم ويبيعونهُ لمن يدفع لهم اعلى ثمن فيهِ . ومعظم ما يعرض منهُ للبيع يشتريهِ بنك انكلترا وقوانين ذلك البنك تقضي عليهِ بان يشتري كل ما يُعرض عليهِ من الذهب بسعر معين فاذا عرض عليهِ اصحاب الذهب ما لديهم منهُ اضطر ان يشتريهُ منهم مهما كان المقدار الذي يعرضونهُ عليهِ ويحق لكل واحد ان يأخذ الذهب الى محل ضرب النقود التابع للحكومة ويطلب ضربهُ جنيهات . غير ان الافراد او الشركات الخصوصية قلما تفعل ذلك لما يعترضها من التأخير فلا يكاد الذهب يرد على معمل ضرب النقود الآ من بنك انكلترا وحدهُ فهو يرسلهُ اليهِ ليصكهُ جنيهات . ويقال بوجه الاجمال انهُ لا يمضي ثلاثة اسابيع او اربعة من وصول الذهب الى انكلترا حتى يصك جنيهات ويتداولهُ الناس

سليم مكاربوس

الاطيان والضرائب بالقطر المصري

(تابع ما قبلهُ)

القسم الثاني — الضرائب

الضرائب نوعان (١) عقارية وهي المقررة على العقارات (٢) غير عقارية وهي المقررة على المصانع والمتاجر وغيرها . وكانت الضرائب الى عهد قريب كثيرة جدًّا ولكن الحكومة ابطلت الكثير منها رحمة بالناس فمما ابطلتهُ ضريبة كانت تؤْخذ سنويًّا عن العدد الخاصة بارباب الحرف والصنائع كافة من اقل حرفة وهي باعة الفول النابت لأَعظم تاجر يشمل ذلك . البقالين . والزياتين . والحريريَّة . ودقاقي البن . ومطهري المراحيض المعروفين بالسرباتية . وصانعي الصرم . والقهوجية . والقمصانجية . والحمامجية . والصباغين . والحلاقين . والقبانية . والعطارين . والكبابجية . والنقلية . والخضرية . واصحاب مسامط الكوارع . والدخاخنيَّة . وباعة الكنافة والفطير . وغلايي اللبن . والطرشجية . والطباخين . والشماعين . والجزارين . والفكهانية . والخردجية . والصيارف . ودشاشي العدس . والنخرانية . والخبازين . وباعة البوظة . والغنداقجية . والخياطين . والبياطرة . والحلوانية . والعقادين . والشبوكجية . والكتبية . والصياغ . وباعة الاسلحة . والعرضحالجية . والسروجيَّة . وبالاجمال كل ذي عدة او حانوت يشتغل للارتزاق منها جالسًا كان او سارحًا متجولاً . وعدا ذلك كانت تؤْخذ منهم ضريبة اخرى تعرف بالويركو او الفردة وضريبة معامل الدجاج وضريبة معاصر الزيت . وضريبة العربات . وضريبة دواب الركوب وجر الاثقال . وضريبة الغنم . وضريبة المعيز . وضريبة الاملاك ذات الايراد في جمع القرى . وضريبة شخصية على طبقات مخصوصة من الناس . وضريبة رخص القبانية والصيارف . وضريبة الملح . وضريبة الباطنطة . وضريبة العونة . هذه الضرائب كلها ابطلتها الحكومة فضلاً عن الغاء عوائد الدخولية وعوائد السفن المعروفة بمال الرسالة وغير ذلك مما عاصرنا تحصيلهُ ودفعنا ما يخص بنا منهُ في اثناء الثلاثين سنة الماضية . ولم يبقَ من الضرائب غير العقارية الاَّ ما لا بد من تحصيلهِ كرسوم الجمارك والتزامات المعادي في بعض الجهات ورسوم قوارب صيد السمك في بركة قارون بالفيوم وفي بحيرة المنزلة . ورسوم دمغة المصوغات والموازين والمكاييل والمقاييس

اما الضرائب العقارية فهي الآن ثلاثة انواع (١) ضرائب الاطيان (٢) ضرائب

النخل (٣) ضريبة المباني بالمدن. ويدخل في النوع الاول ضرائب الواحات وسيوه وبقية من العوائد التي كانت تؤخذ من جميع الارض المنتفعة بالري من الترعة الابراهيمية. ويشابه النوع الثالث ضريبة تؤخذ على طواحين الغلال الدائرة على هدارات الماء باقليم الفيوم فقط. فضرائب النخل بقيمة قرشين ونصف قرش فيما عدا الواحات وقبلي اصوان فانها هناك ستون فضة على كل نخلة مثمرة او من شأنها الثمر او الطلع ويعفى من ذلك النخل المغروس في حيشان المقابر واماكن العبادة والمغروس في داخل حدود المدن المقرر اخذ عوائد فيها على المباني. وتحصل هذه العوائد في مواسم التمر. وضريبة المباني وهي بقيمة جزء من اثني عشر جزءًا من الايجار او ٨ ⅓ في المائة وهي تؤخذ في المدن عواصم المديريات والمراكز ومدن اخرى شهيرة غيرها وتؤخذ على المباني الداخلة في نطاق محدد للمدينة بامر عالٍ ويعفى منها جميع المباني التي اجرتها السنوية لا تزيد عن خمسة جنيهات مصرية ومحلات العبادة ودور القونصلاتات التي تملكها الدول ذاتها والمعاهد الخيرية وتحصل هذه العوائد اربعة اجزاء واحد منها في اول كل ثلاثة اشهر

وقد اعفت الحكومة على وجه الاطلاق اهل العريش والقصير من جميع الضرائب العقارية لكونهم من فقراء عرب البادية ولا يكادون ينالون ما يسدون بهِ رمقهم

اما ضرائب الاطيان فهي قيمة معينة من المال مفروضة سنويًّا على مساحة معينة من الارض ويختلف تقدير هذه المساحة باختلاف البلاد وهي في مصر مفروضة على الفدان. وهذه الضريبة واجبة بالذمة حتماً لمجرد الانتفاع بعين العقار لا بالخراج او الناتج منهُ ولا تتكرر في السنة الواحدة ولو تكرر زرع الارض فيها. ومن ابتداء ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥ قررت الحكومة اعتبار الضرائب مستحقة على حساب السنين الميلادية التي اولها يناير وآخرها ديسمبر. وتختلف قيمة الضريبة باختلاف وظيفة الارض وفائدتها فالارض التي تزرع قطناً مثلاً تؤدي من الضريبة اكثر من الارض التي لا تزرع الَّا اصناف حبوب. ولا يوجد دليل ثابت على قاعدة وضع الضرائب في مصر قبل زمن محمد علي غير ما جاء في الرواية التاريخية عن القحط الذي أَلمّ بالبلاد في ايام سيدنا يوسف. ولما تجرد المصريون من جميع اموالهم ولم يبقَ لديهم سوى الاطيان اضطروا ان يقدموها الى يوسف ليعطيهم بدلاً منها ما كانوا في اشد الحاجة اليهِ من القوت فقبلها منهم واعطاهم كل ما كانوا يحتاجونهُ من القوت ومن البذار واجاز لهم استمرار وضع ايديهم على الارض على شرط ان يؤدوا خمس غلاتها الى الحكومة ما عدا اراضي ائمة الدين

ويظهر ان تقدير الضرائب في الازمنة الماضية لم يُبنَ على نظام مالي بل كان معلقاً على مشيئة المتسلطين ففي اول الفتح الاسلامي كانت تؤخذ بصفة جزية بقيمة دينارين على كل ذكر من عمر اثنتي عشرة سنة الى عمر ستين وكانت هذه الجزية توزع على البلاد بقدر ما تقوى على القيام بدفعهِ على نسبة ما فيها من الارض العامرة وارباب الصنائع والاجراء · وفي ايام الفواطم كانوا يأخذون ثلاثة ارادب خفضت في سنة ١١٧٦ الى اردبين ونصف على كل فدان من القمح الذي ينتج من الغلة عشرة ارادب اي بنسبة الربع او ٢٥ في المائة من اصل المحصول وكانوا يأخذون بين ثلاثة دنانير وخمسة دنانير من الكتان والعنب · وفي ايام السلطان سليم الفاتح لم يزد مجموع الضرائب في مصر عن ستمائة الف قرش · ثم فرضوا على كل فدان ضريبة لا تنقص عن اربعين فضة ولا تزيد عن اربعمائة فضة · وبعد ذلك قدروا الضرائب على الفدان بالمشط وهي قطعة من الفضة كانت ضربت في سنة ١١٤٧ وامرت فاطمة خاتون بنت مصطفى كتخدا بان ينقش عليها رسم مشط وقدرت قيمتها بتسعين فضة ثم سميت ريالاً فكان يدفع على الفدان في كل جهة ما تقرر عليهِ من الامشاط · ودامت الضرائب غير مستقرة على قرار وبالاخص في زمان الملتزمين وزيد عليها من وقت لآخر كثير من البدع والاضافات حتى كانت تدفع عدة ضرائب مختلفة عن اطيان من نوع واحد في حوض واحد وبالعكس تدفع ضريبة واحدة على اطيان مختلفة في كل اعتباراتها · وفي اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر جدت الضريبة التي سميت عشورية وكان قد بدئ بها على اصل وضعها الشرعي وهو اداء العشر من كل محصول ينتج من الارض ولو تكررت المحاصيل في سنة واحدة ولكن الحكومة حينئذٍ عجزت عن مقاومة الصعوبات التي كان ارباب الاطيان يقيمونها فبدلت هذه الطريقة بتقدير قيمة معينة من المال على كل فدان باسم ضريبة عشورية وكانت الضريبة العشورية اقل بكثير من قيمة الضريبة الخراجية مع ان الاطيان العشورية كانت احسن بكثير من الاطيان الخراجية لانها كانت بايدي اصحاب الثروة الطائلة والجاه العريض الذين حفروا لها الترع العظيمة وجلبوا لها الماء الكافي وشقوا لها المصارف المفيدة وتابعت الحكومة وضع الضريبة العشورية على كل ارض جديدة اعطيت منها للافراد بالبيع او بغير ذلك فكثرت الاراضي التي تؤدي الضريبة العشوريَّة وتهافت الناس على اقتنائها وتحولت اراضي كثيرة خراجية الى عشورية فزالت المساواة وانعصر الضعيف وانسحق المسكين وترك كثير من الناس اطيانهم الخراجية للحكومة فباعتها بصفة عشورية وعم العسر وهاجر الكثيرون من الفلاحين اوطانهم وهم الذين يعرفون باسم

المتسحبين لان القوة والمال حلتا محل العدالة والانصاف وشعرت الحكومة بما يتهدد ميزانية الايرادات من النقص ان دام الحال كذلك فابطلت قطعيًا وضع شيء جديد من الضريبة المشورية من ابتداء سنة ١٨٨٠ واخذت في تدبير وسائط المساواة ولكنها كانت غير مدركة بغير عمل مساحة عمومية (فك زمام) تقسم فيهِ اطيان كل بلد الى اجزاء تكون اطيان كل جزء منها متماثلة متشابهة في المعدن وفي الري والصرف والمواصلات لتوضع عليها ضريبة واحدة بقيمة ما تساويهِ بحسب حالتها ليتساوى في ادائها القوي مع الضعيف والغني والفقير بلا ادنى فرق · وشرعت فعلاً في عمل المساحة العمومية وشكلت لذلك ديوان التاريع وبعد ان مارس العمل زمنًا طويلاً صادفتهُ جملة صعوبات في جملتها الخلط في المباديء الرئيسية بين الاكتفاء بقيد النتائج الحقيقية بحسب المشاهدات الواقعية في وضع اليد وهو الغرض الاصلي لتكليف كل واضع يد باداء الضرائب عما يوجد تحت يدهِ من الاطيان · وبين التعرض لاثبات او نفي الملكية وهو ما لم يرد التداخل فيهِ اصليًا · ثم صادف ذلك استعار نيران الثورة العسكرية في سنة ١٨٨٢ فاوقف العمل ثم صرف النظر عنهُ بالكلية · وفي سنة ١٨٩٢ عادت الحكومة لعمل مساحة فك الزمام العمومية على نظام مالي محض تجنبت فيهِ كل الصعوبات التي دل الاختبار عليها في ما مضى . وكانت المشاكل المالية كادت ان تنتهي واصبح تقدير ميزانية ايرادات ومصروفات الحكومة مبنيًا على ارقام صحيحة وحان الوقت لتخفيف ويلات الفلاحين فأخذت بالتدريج في تنقيص ضرائب الاطيان وابتدأت في ذلك بالتجاوز عن جميع متأخرات الضرائب لغاية سنة ١٨٧٩ وكانت نحو العشرين مليونًا من الجنيهات المصرية · ثم انقصت ٢٤٥٠٠٠ جنيه سنويًا من ضرائب اطيان مديريات الجيزة وقنا واصوان وجرجا · وابطلت ضريبة العونة وهي التي كانت فرضت على الاطيان بدل نفقات الاعمال التي كانت تعمل بانفار العونة · وخفضت ضرائب جملة اطيان بقيمة تسعين الف جنيه في مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم · وابطلت معظم الضريبة التي كانت تحصل باسم مصاريف ابراهيمية على الاطيان المستمدة ريها من الترعة الابراهيمية · وخفضت ضرائب بلاد الواحات وسيوه · ورفعت ٢١٦٠٠٠ جنيه سنويًا عن الاطيان التي كانت ضريبتها تزيد عن ثلث قيمة ايجارها

ولما اوشكت اعمال فك الزمام ان تنتهي بمديرية الشرقية والبحيرة بحيث يتيسر لها الشروع في تعديل الضرائب على قاعدة العدالة والمساواة اوفدت المالية تحت رئاسة جناب السير وليم ويلكوكس لجانًا مؤلفة من اشخاص من المتوفرة فيهم شرايط الخبرة والكفاءة

طافوا بلاد القطر من اقصى اقاصيها لادنى ادانيها في سنة ١٨٩٥ وسنة ١٨٩٦ وبحثوا الاراضي وقدروا ما تساويهِ من الايجار في كل جزء وفي كل بلد وكانت النتيجة ان مجموع الضرائب وجد بنسبة ٢٨٫٦٤ في المائة من مجموع الايجارات التي قدرتها اللجان واتخذت المالية هذه النسبة اساساً لتعديل الضرائب على طريقة توزيع ما قدرتهُ اللجان عن اطيان كل بلد لحدتها على الحيضان الجديدة التي قسمت اطيان البلد اليها في مساحة فك الزمام الجديدة وذلك بان يوضع على كل حوض ضريبة واحدة من بين اثنتين وعشرين ضريبة تقررت لاطيان القطر كلها اقل ما فيها ١٤ قرشاً واكثر ما فيها ١٦٤ غرشاً لا تزيد عنها في اي حال من الاحوال والفرق بين كل ضريبة والتي بعدها او قبلها هو سبعة قروش الاَّ في ثلاث ضرائب وهي ١٤ و ٥٧ و ١٠٧ فالفرق بين كل منها والتي بعدها هو ثمانية قروش . وتحددت مواعيد لتعديل الضرائب في كل بلد وحصل النشر عنها رسميًّا وعمل التعديل ونشرت نتائجهُ في البلاد ومنح ارباب الشأن حق طلب اعادة النظر في ضرائب الحيضان التي يظن ان التقدير فيها كان غير متناسب مع حالتها وايجارها وقبلت معارضاتهم وعملت التحقيقات اللازمة عنها وحكم فيها ونشرت النتيجة النهائية عن كل حوض بكل بلد في الجريدة الرسمية وفي كل بلد وقد تمت اعمال تعديل الضرائب في جميع بلاد القطر في مدة تسع سنوات من سنة ١٨٩٩ لغاية سنة ١٩٠٧ ولكن لم يبدأ بتنفيذ هذا العمل الاَّ في سنة ١٩٠٥ بمديريتي الشرقية والبحيرة بعد مضي خمس سنين تقرر لزوم انقضائها بين البدء بالعمل وتاريخ التنفيذ بكل مديرية وذلك لكي لا يجيء تأثير التنفيذ فجائياً سواء كان بزيادة او بنقص الضرائب الاصلية. وفي سنة ١٩١٢ يكون تم التنفيذ في انحاء البلاد كافةً وفي حالة التنفيذ بكل مديرية يزول الفرق القديم الذي كان موجوداً من قبل وهو ما كان من تنويع الاطيان والضرائب الى خراجية وعشورية . تلك هي قواعد الضرائب الثابتة الاساسية غير ان الحكومة في سنة ١٩٠٢ قررت علاوة ضريبة اضافية على الاطيان التي تحولت من ري شتوي الي ري صيفي مستديم من نتائج انشاء الخزانات وهذه الضريبة بقيمة خمسين غرشاً على الفدان للاطيان التي استفادت بري الراحة وثلاثين قرشاً للاطيان التي استفادت ولكن بالآلات بشرط ان لا تزيد في اي حال من الاحوال عن ١٦٤ قرشاً المقررة لاقصى ضريبة وفي بعض الاحيان توزع ضرائب اضافية بمقتضى اوامر عالية بناء على قرارات مجالس المديريات لاستعمال ما يجمع منها في انشاء سكك زراعية او كباري لفائدة البلاد

اما الضرائب الموقتة فانها عند ما تبلغ الاطيان المربوطة عليها اقصى درجة التحسين

لتغير الى ضريبة نهائية بمثل ضريبة الحوض · وتفصيل وضع الضريبة المؤقتة هو ان الاطيان التي تبيعها الحكومة وتوجدغير قابلة لتحمل ضريبة الحوض النهائية توضع عليها ضريبة موقتة بحسب حالتها إما بقيمة محددة لمدة محددة من الزمن وإما بقيمة لا تزيد عن ٣٠ في المائة مما تساويهِ من الايجار وهذه القواعد صدر عنها امر عال في ٣ فبراير سنة ١٨٩٢ تضمن درج الاطيان في ثلاث درجات وهي (١) وضع الضريبة النهائية على الاطيان التي تباع وتوجد قابلة لتحمل ضريبة الحوض (٢) اووضع ضريبة موقتة لمدة من الزمن لا تزيد عن ست سنوات وهذا في حالة ما اذا كانت لا تحتاج الاَّ الى تصليحات بسيطة (٣) او وضع ضريبة موقتة لمدة لا تزيد عن خمس سنوات ان كانت الارض في حاجة الى منافع عمومية ويجوز في هذه الحالة فقط تكرار وضع ضريبة موقتة لمدة او مدد اخرى لا تزيد كل منها عن خمس سنوات ان كانت في نهاية الخمس سنوات توجد غير قابلة لتحمل ضريبة حوضها النهائية · اما الاطيان البور فتوضع عليها ضريبة قرشين كل فدان في كل من السنتين الاوليين و ٥ قروش في كل من الثلاث السنوات المكملة للخمسة و ١٠ قروش في كل من الخمس السنوات المكملة للعشرة وفي نهاية هذه المدة تعاين وتدخل تحت حكم احدى الدرجات الثلاث التي تقدم توضيحها · ومنحت الحكومة المعافاة من الضرائب بالكلية لمدة عشر سنوات في حالتين اثنتين · الاولى — عند ما يريد احد تخصيص شيءٍ من ارضهِ لغرس الغابات والاحراش بشرط ان تكون الارض في البراري او على حدود البراري · ولم تزرع من قبل غير زراعة شتوية · ولم تزد الضريبة التي تدفع عنها عن خمسة قروش الفدان هذا بعدان يحصل صاحبها على الرخصة من المالية بغرس الغابات والاحراش · وبعد ان يتم غرس خمسة افدنة على الاقل تعفى الارض من الضرائب مدة عشر سنوات كاملة · وفي مدة عشر سنوات اخرى توضع عليها ضرائب تدريجية على كل فدان قرشين في كل من السنتين الاوليين و ٥ قروش في كل من الثلاث السنوات المكملة للخمسة و ١٠ قروش في كل من الخمس السنوات المكملة للعشرة ثم توضع عليها ضريبة حسب ما تستحق بحيث لا تزيد في اي حال من الاحوال عن خمسين قرشاً ويسقط حق صاحب الرخصة في التمتع بها ان ثبت في اي وقت كان استعمالهُ الارض في زراعة اي صنف غير الغابات والاحراش . اما النوع الثاني الذي يعفى عشر سنوات من الضرائب فهو ارض البرك والمستنقعات التي صرحت الحكومة في سنة ١٨٩٤ بقبول اعطائها ملكاً مجاناً لمن يتعهد بردمها وتجفيفها في مدة سنتين وفي نهاية العشر السنوات المحددة للاعفاء من الضريبة توضع عليها ضريبة الحوض النهائية

تلك هي القواعد المقررة لوضع وتقدير وتعديل الضرائب على اختلاف انواعها غير انها لا تسري على بلاد الواحات الداخلة والخارجة التابعة لمديرية اسيوط · وواحة سيوه وام الصغير التابعة لمديرية البحيرة لان طرق وضع الضرائب هناك تختلف بمقتضى عوائد تلك البلاد من قديم الزمان · فالاولى وهي الواحات الداخلة والخارجة لا توضع فيها الضريبة على الفدان بل على مقدار مقاس ارتفاع الماء النافر من كل من العيون والآبار التي ترتوي منها اراضي الواحات ولهم طريقة مخصوصة في مقاس ارتفاع الماء عن سطح الارض على مسافة متفق عليها من بداية فوهة النبع ولهم وحدة للمقاس تعرف باسم قيراط وهي عبارة عن ثمانية سنتيمترات ويدفع عن كل قيراط خمسون قرشاً · اما الثانية وهي سيوه فانها تؤَدي للحكومة مقطوعية سنوية قيمتها ١٧٥٠ جنيهاً مصرياً يوزعونها على العائلات ويحصلونها ويسددونها للحكومة بصفة ضرائب عن اطيانهم ونخلهم بلا فرز ولا تحديد

رفع الضرائب

من الضرائب ما يُعد رفعهُ الزامياً وهو ما يكون مربوطاً على ارض تلفت وانقطعت الفائدة منها وينحصر هذا النوع في الاسباب الآتية

(١) استعمال الارض في المنافع العمومية · كالسكك الحديدية · والسكك الزراعية · والترع · والمصارف · والجبانات وما شابه ذلك مما يدخل في حكم المنافع العمومية · وهذا النوع علاوة على رفع الضرائب عنهُ يتعين التعويض عنهُ لاربابهِ غير ان هذا التعويض لا يكون ارضاً بارض ولكنهُ تعويض نقدي يقدر باتفاق الطرفين او بحكم المحاكم · وفي ما مضى من الزمن كان لا يجوز التعويض عن الارض الخراجية لانها كانت معتبرة ملكاً للحكومة وكان واضعو اليد عليها لا يملكون فيها غير حق الانتفاع · وقد يجوز لصاحب الارض ان لا يأخذ تعويضاً بالكلية ان شاء ذلك · وذلك لكي يجوز لهُ استرداد الارض ذاتها لملكهِ ان استغنى الحال عنها في يوم ما من لزوم المنفعة العمومية

(٢) فقدان الارض باكل البحر الناشيء عن شدة اندفاع تيار النهر واجتزار ما يضعف عن مقاومة الماء من الارض الكائنة في وسط نهر النيل او على ضفتيهِ · وهذا النوع ايضاً يعطى تعويض عنهُ علاوة على رفع الضريبة · غير ان التعويض في هذه الحالة هو بعكس التعويض في الحالة الاولى لان التعويض هنا يعطى ارض بارض لا تعويضاً نقديًّا وعلى شرط ان تلك الارض يكون قد جددها النيل من طرح البحر بعد تاريخ افقاد المفقود وان يكون بتجديدها جاء ملاصقاً ومتصلاً تمام الاتصال بارض البلد التي اكل البحر منها ويوزع

التعويض بين اصحاب الارض المفقودة توزيعًا نسبيًا

(٣) تغلُّب الرمال على الارض وافسادها سواء كان لمجاورتها للجبال ووجودها هدفًا لما تنسفهُ عليها العواصف · او من وجود الارض بالجزائر عرضة لتكوين ما يتكون عليها من طبقات الارض الرمال التي تأْتيها ممتزجة بماء الفيضان وترسب عليها وتصيرها غير صالحة للزراعة

(٤) اندفاع المياه من مقطع في احد جسور الحيضان العمومية في مدة امتلائها بالمياه سواء كان لصرف المياه عن الحوض او لضعف بعض اماكن من تراب الجسر عن مقاومة ضغط المياه وبالاخص عند اشتداد العواصف والانواء

(٥) تغلُّب السبخ على الارض · من نشع ما يجاورها من ترع او مصارف عالية عن سطحها · او من عدم وجود مصارف لتجفيفها او عدم وجود ترع لريها واحيائها · او من مجاورتها لبركة قارون بالفيوم

وفي الثلاثة الانواع الاخيرة لا يُعطى تعويض بالكلية · وترفع الضريبة حتمًا عما يتلف باي سبب من الاسباب الخمسة التي ذكرت · ويتعين على كل صاحب ارض ان يقدم طلبًا عن رفع الضريبة عما يتلف من ارضهِ ما عدا التآلف باكل البحر وبرمال الجزائر فهذا لا يلزم تقديم طلبات عنهُ لان الحكومة تعمل التحقيق عنهُ من نفسها · وترفع الضريبة من تاريخ تقديم الطلب الى ان يزول سبب الرفع الذي هو التلف وذلك في ما عدا النوع الخامس وهو السبخ فرفع الضريبة يستمر فقط لنهاية السنة التالية لسنة رفع الضريبة ثم يوضع على الفدان قرشان في السنة التالية لها وخمسة قروش في التي بعدها وعشرة قروش في ما بعدها ونصف الضريبة الاصلية في ما بعدها وبعد ذلك تعاين وتدرج في احدى الثلاث درجات المنصوص عليها بدكريتو ٣ فبراير سنة ١٨٩٢

ما عدا الخمسة الانواع من اسباب اتلاف الاطيان قد يجوز رفع الضريبة ان ثبت باقرار نظارة الاشغال العمومية ان المنافع العمومية اللازمة للارض غير مستكملة وتعود الضريبة بزوال السبب

وترفع الضريبة ايضًا عما يوجد ناقصًا من مقدار الاطيان عند اجراء مساحة فك الزمام العموميَّة

وترفع الضريبة عن خمسة افدنة في كل سنة مما يملكهُ كلٌّ من عمد البلاد وعمد قبائل العربان من قبيل المكافأَة على الخدامات التي يؤَدونها للحكومة

وترفع الضرائب عن الارض عند ما تتحوَّل من وظيفة الزراعة لوظيفة البناء ولكن

ذلك فقط بالمدن المقرر فيها عوائد على المباني

وترفع الضرائب عن الارض المعدة للجرون

ومن الضرائب ما يعد رفعهُ منحة اختيارية من قبل الحكومة وذلك عن الاراضي التي في سنوات انحطاط النيل يقصر الفيضان عن ريها فتبقى بلا زراعة بالكلية وتسمى شراقي كامل وترفع عنها ضريبة السنة كاملة وهكذا ترفع الضريبة كاملة عما يكون من هذا النوع قد زرع من مياه الآبار · وترفع نصف الضريبة فقط عما يكون زرع مرة واحدة بدلاً من مرتين · او روي بالآلات بدلاً من اعتياد ريهِ بالراحة ويسمى ذلك نصف شراقي

تحصيل الضرائب

بمقتضى امر عال في ١٠ رجب سنة ١٢٨٩ اي ١٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ للحكومة امتياز خاص في تحصيل الضرائب بنفسها من نفس العين فلا تلتجئ للدوائر القضائية في حالة تأخير بعض الممولين في تسديد ما على عقاراتهم من الضرائب . وكانت توجد صعوبات كلية في تحصيل الضرائب عن اطيان الاورباويين والحمايات وتأخر شيء كثير منها لغاية سنة ١٨٧٩ ولكن باتفاق الحكومة مع الدول اصدرت قانونًا في ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ معمولاً بهِ للآن في تحصيل الضرائب ممن يتأخر من الاورباويين والوطنيين على السواء وذلك بالحجز على المحصولات والمنقولات ابتداء وان لم تفِ بالمطلوب فبالحجز على عين العقار وبيعهِ كلهِ او بعضهِ حتى تستوفي الحكومة حقها · وقد أُدخلت على هذا القانون بعض تعديلات دلت عليها التجارب في اثناء الثمان والعشرين سنة الماضية · منها عدم الامهال في الحجز على المحصولات والمنقولات زيادة عن وقت تسليم الانذار لان ذلك الامهال كان سببًا في تمكين بعض المخالفين من تهريب ما لديهم فرارًا من الحجز · ومنها جواز الحجز على العقار ولو كان واقعًا تحت حجز قضائي لصالح احد الاجانب ولكن بشرط ارسال نسخة من محضر الحجز الاداري للنيابة المختلطة قبل موعد البيع بمدة من الزمن لا تقل عن سبعين يومًا · ومنها بيع الفواكه وغيرها من الاشياء السريعة التلف بلا انتظار للمدة القانونية المقررة للبيع · هذا واستصدرت الحكومة في سبتمبر سنة ١٨٨٤ قانونًا آخر يجوز بمقتضاهُ الحجز لصالحها ولصالح الافراد من الوطنيين فقط دون الاورباويين وهذا الحجز يسمى الحجز الامتيازي ولا يجوز عملهُ على شيء بالكلية غير المحصولات والاثمار والمدير كقاضٍ هو الذي يأمر باجرائهِ لتحصيل ما يتأخر تسديدهُ من ايجارات الاطيان المؤجرة للافراد سواء كانت من املاك الحكومة او من املاك الافراد

واهتمت الحكومة كل الاهتمام في ترتيب اوقات تحصيل الضرائب في نفس اوقات ظهور المحصولات بكل جهة لحدتها وذلك لكي تكفي الفلاح مؤنة المذلة والخسارة في الالتجاء للمرابين واستدانة المال لتسديد الضرائب بالربا

ووضعت القواعد المتينة لكفالة عدم امتداد ايدي الجباة بشيء من الخيانة في الاموال المتحصلة ولا التلاعب فيها

ولغاية سنة ١٨٨٤ كانت للحكومة مخازن كبرى تسمى اشوانًا تقبل فيها ما يقدم من الغلال بالثمن محسوبة من الضرائب ولكن ذلك ابطل قطعيًّا من سنة ١٨٨٥

كانت تحصل الضرائب بالضرب بالكرابيج لا استبدادًا من نفس الحكام كما يظن ولكن قانون الحكومة المطبوع في سنة ١٢٦١ كان يأذن بالضرب ويحدد عدد الكرابيج غير انهم فقط زادوا عليهِ الحبس والاهانة في السجون. ومن يقارن بين ذلك وبين ما يجري الآن من المساواة والعدالة يتبين مقدار الفرق المحسوس في ارتقاء حالة البلاد

ومن ينظر الي الآلاف المؤلفة من الحجوزات التي كانت تعمل على المنقولات والعقارات لتحصيل الضرائب ويدرك بالقياس على ذلك صعوبة الاحوال المالية في ما مضى ثم يقارن بينها وبين السهولة المتناهية في التسديد وندارة ما يعمل من الحجوزات يحكم لاول وهلة على مبلغ النجاح الادبي والمادي الذي نالتهُ البلاد وللدلالة على ذلك نقول ان المالية في سنة ١٨٩٣ وهي من السنين الوسطى بين تاريخ صدور قانون التحصيل في سنة ١٨٨٠ وبين الوقت الحاضر وقَّعت ٩٥٦٨ حجزًا على محصولات ومنقولات ومواشي و١٨٦٣ حجزًا على عين العقار اما في سنة ١٩٠٦ فلم يقع الاَّ ٢٣٥٤ من النوع الاول و ٤٨١ من النوع الثاني وكلاهما بنسبة ٢٥ في المائة مما كان عمل في سنة ١٨٩٣ وليس بعد زوال ٧٥ في المائة من صعوبات تسديد الضرائب اوضح برهان على التقدم والنجاح

كان الجباة الذين هم صيارف البلاد يشتغلون بالعمولة في تحصيل الضرائب وقلما كانوا يأخذونها . فرتبت الحكومة لهم بدل ذلك رواتب شهرية وزادتها لهم كلما رأَت لذلك سبيلاً حتى ابلغتهُ خمسة جنيهات ونصف لصيارف الدرجة الاولى . واربعة ونصف للثانية . وثلاثة ونصف للثالثة . ولم يكن لهم شيء من المعاش او المكافأة فانشأَت لهم صندوقًا للتوفير يدفع لهُ كل منهم ٢ في المائة من ماهيتهِ وتدفع الحكومة مثلها وتعطي من ذلك لمن يرفت بغير علة الخيانة مكافأة بقيمة مجموع ماهية ستة شهور لمن لم تبلغ مدة خدمتهِ عشر سنوات وماهية سنة كاملة لمن لم تبلغ خدمتهُ عشرين سنة وماهية سنتين لمن لم تبلغ خدمتهُ ثلاثين

سنة وماهية ثلاث سنين لمن تبلغ خدمتهُ ثلاثين سنة فاكثر . وبمثل هذه المعاملة تعامل المساحين ايضاً . تلك هي قواعد وضع ورفع وتحصيل الضرائب ومن يمعن النظر فيها يتبين لهُ ان بلادنا السعيدة قد توفرت فيها المبادئ الاربعة الاساسية التي يتوقف على وجودها ضمانة العدالة في موضوع الضرائب وهي

اولاً المساواة في وضع الضرائب بين مختلف الطبقات من الناس

ثانياً معرفة كل من ذوي الشان بقيمة الضرائب المتعين عليهِ دفعها في كل سنة والوقت المعين لتسديد كل جزء منها

ثالثاً ترتيب اوقات تحصيل الضرائب في ذات اوقات ظهور المحاصيل بحيث يسهل لكل ممول ان يدفع ما عليهِ من ثمن غلات ارضهِ

رابعاً عدم المحاباة في التحصيل . ذلك بان لا يدفع الضعيف اكثر مما يدفع القوي وبالعكس

جرجس حنين

عبد الله المأمون

كان لدولة بني العباس في بغداد شأو بعيد من البسطة والجاه ومقام عالٍ في الحضارة والعمران فكانت تمتدُّ من الشرق حتى ارض الهند وبعض الصين ومن الغرب الى البحرين الاسود والمتوسط ومن الشمال حتى سبيريا وبحر قزبين ومن الجنوب الى بحر فارس ومايلي مصر من بلاد النوبة . على ان اعظم خلفاء هذه الدولة شأناً واعزهم سلطاناً الخليفة الثاني ابو جعفر المنصور والخليفة السابع عبد الله المأمون صاحب الترجمة

ولد عبد الله المأمون سنة ١٠٧ للهجرة قيل لما مات الخليفة الهادي جاء يحيى بن خالد البرمكي الى ابيهِ هرون الرشيد فاعلمهُ بموت الخليفة وانتهاء الملك اليهِ وبينما هو يكلمهُ اذ اتاهُ رسول آخر يبشرهُ بمولود فسرَّ كثيراً وسماهُ عبد الله

ولما ترعرع عبد الله عهد الرشيد بتهذيبهِ الى جماعة من العلماء والفقهاء كعباد بن العوَّام ويوسف بن عطية وابي معاوية الضرير وغيرهم من خيار اساطين العلم والفقه فبذلوا الوسع في تثقيفهِ وارشادهِ حتى برع في اللغة والفقه والتاريخ . قال المسعودي دخل الكسائي يوماً على الرشيد فرأى ولديهِ محمد الامين عن يمينهِ وعبد الله المأمون عن يسارهِ وهما كالاقمار الطالعة فسألهُ الرشيد رأيهُ فيهما فاجابهُ ما اقول وقد رأيت فيهما ما حيَّر فكري من الفصاحة

والاحتشام على صغر سنهما فلم اسائلهما عن امر الاَّ وجاوباني جوابًا شافيًا فضمهما الرشيد الى صدرهِ وجالت الدموع في عينيهِ وقال ولكني ارى في عبد الله المأمون نجابةً وانهُ شديد الهمة وارى في محمد الامين البلادة والبرودة واني اذا وليت العهد بعدي لعبد الله فلا يهون ذلك على بني هاشم اخوال الامين وربما ثارت بينهم الفتن واذا وليت العهد الامين فلا آمن من تدبير المملكة

وفي سنة ١٨٢ تبيَّن الرشيد في عبد الله طلائع الذكاء وتوقد الخاطر فبايعهُ ولاية العهد بعد الامين وولاَّهُ خراسان وما يتصل بها الى همذان ولقبهُ المأمون فاقام ينظر في شؤُونها وحولهُ جماعة من الخبيرين بالسياسة والعارفين بابوابها ينكبون بهِ عن مواضع الزلل ويرشدونهُ الى ما فيهِ خيرهُ وصلاح الرعية كغيلان الشعوبي ومحمد بن موسى الخوارزمي ويحيى بن منصور والفضل بن نوبخت ويشد ازرهُ جند خراسان وهم اخوالهُ لان امهُ فارسية كل ذلك وما ميزهُ الله بهِ من الذكاء وعلو الهمة دفع بنفسهِ الكبيرة ان تسير سيرة العظماء فتتحلى بالعدل والحلم وتتجمل بكثير من الفضائل . رأى الرشيد منهُ ذلك فطابت نفسهُ وارتاح اليهِ حتى اذا حجَّ بالناس سنة ١٨٧ كتب كتابين اشهد فيهما الفقهاء والقادة والقضاة على مبايعة العهد للامين ومن ثمَّ لاخيهِ المأمون وعلَّق الكتابين في الكعبة على ان بضعة من العقلاء تخوَّفوا عاقبة هذه المبايعة وحسبوا لما ينجم عنها من العداء بين الاخوين الف حساب

وكان رافع بن الليث قد خرج سنة ١٩٠ عن طاعة الرشيد بسمرقند فيما وراء النهر فزحف الرشيد لاخضاعهِ سنة ١٩٢ ولما صار على الطريق مرض فدخل مدينة طوس واستحكمت العلة منهُ فمات سنة ١٩٣ وبويع الامين بالخلافة من عسكر ابيهِ وجلة اهل بيتهِ وظلَّ المأمون في خراسان يتولَّى ما كان بيدهِ الاَّ انهُ اهدى الى اخيهِ وكتب اليهِ وعظَّمهُ

عهدت الخلافة للامين ولم يكن كفوًا لها بل كان على ما نقل رواة اخبارهِ ضعيف الرأي انصرف الى اللهو وادمان الخمر ومغازلة الحسان واجراء الرزق عليهنَّ وقسَّم ما في بيوت الاموال من الجواهر والحلي على نسائهِ وخصيانهِ وبالجملة كان على ما قالهُ صاحب مختصر الدول فيهِ "لم يكن في سيرتهِ ما يستحسن ذكرهُ من حكمةٍ او معدلةٍ". وكان من امرهِ انهُ بعد ان استتبَّ لهُ الملك خلع اخاهُ المأمون من ولاية العهد باغراء الفضل بن الربيع وامر بالدعاء على المنابر لابنهِ موسى وسماهُ الناطق بالحق وكان طفلاً صغيرًا وكتب الى العمال في ذلك واسقط ايضًا ما كان قد ضرب لاخيهِ من الدراهم والدنانير لخلوها من اسمهِ وبعث الى الكعبة بمن احضر لهُ الكتابين اللذين وضعهما الرشيد ببيعتهِ مع اخيهِ المأمون ومزقهما

فكبر الامر على المأمون واستاء الناس كثيرًا من خرق الامين لوصاية الرشيد ومن ثمَّ تعددت بينهما اسباب النفرة . منها انهُ كان قد اتصل برافع بن الليث حسن سيرة المأمون فطلب منهُ الامان فاجابهُ الى ذلك وحضر اليهِ وقدم هرثمة عليهِ فاكرمهُ وولاَّهُ الحرس فانكر الامين ذلك وكان ايضًا من داود بن عيسى عامل الامين في مكة ان جمع اليهِ وجوه الناس ومن شهد منهم على مبايعة الرشيد للامين والمأمون وحثهم على خلع الامين ومبايعة المأمون فاجابوهُ الى ذلك وكتب الى ابنهِ سليمان عاملهِ في المدينة في مبايعة المأمون ففعل ومن ثمَّ قام الى خراسان ليعرض ولاءهُ على المأمون فاكرم المأمون وفادتهُ وبالغ في اعزازهِ كل ذلك زاد في الطين بلَّةً وادَّى الى انفصام عرى الاخوَّة واحتدام نار البغضاء

وخلاصة القول ان الامين امر علي بن ماهان ان يسير بجيش كثيف لمقاتلة المأمون فجهز على رواية ابن الاثير خمسين الف مقاتل ولما عزم على المسير من بغداد ركب الى باب زبيدة ام الامين ليودعها فقالت لهُ يا علي ان امير المؤمنين ان كان ولدي واليهِ انتهت شفقتي فاني على عبد الله (اي المأمون) منعطفة مشفقة لما يحدث عليهِ من مكروهٍ فاعرف لعبد الله حق ولادتهِ واخوتهِ ولا تقتسرهُ اقتسار العبيد اذا ظفرت بهِ ولا تعنف عليهِ في السير ثمَّ دفعت اليهِ قيدًا من فضة وقالت ان صار اليك فقيدهُ بهذا القيد

وبلغ الخبر الى عبد الله المأمون فسيَّر هرثمة بن اعين في اقل من اربعة آلاف فارس وعلى مقدمتهم طاهر بن الحسين ولما التقى الجيشان رمى رجل اسمهُ داود بن سياه عليًّا بسهم فقتلهُ وحمل رأسهُ الى طاهر فانفذهُ الى المأمون الاَّ ان رواية ابن الاثير عن عدد جيوش الامين غير حريَّةٍ بالوثوق لما يستحيل عادة من انتصار اربعة آلاف مقاتل على الخمسين الفًا وهم يتساوون في العدة والتدريب الحربي وربما كان الاقرب الى الصواب رواية ابي الفرج عن عددهم حيث قال خرج علي في عشرة آلاف فارس

كان لانتصار طاهر على جيش الامين وقتل علي بن ماهان احسن وقع عند اهل خراسان وطابت لهُ نفس المأمون وتفاءل بالفوز التام لذلك امر ان يخطب لهُ بامير المؤمنين. اما الامين فشقَّ عليهِ ما لحق بعسكرهِ من الفشل فوجه عبد الرحمن بن جبلة الانباري في عشرين الف رجل وامدَّهُ بالاموال فسار حتى نزل همذان وحصنها ورمَّ سورها فاتاهُ طاهر وخرج اليهِ عبد الرحمان الى ظاهر المدينة واقتتل الجيشان قتالاً شديدًا حتى آل الامر الى انهزام عبد الرحمن الى همذان والقيام بها ايامًا طوالاً وطاهر على ابوابها يشدد عليها الحصار الى ان سئم اهلها وتخوَّف عبد الرحمن ان يدفع بهم الضجر والتبرم الى الخروج عليهِ

وجيشهُ في حالة من الضنك لا يقوى معها على اخماد ثورتهم فطلب الى طاهر الامان لنفسهِ ولمن معهُ فأمنهُ فخرج عن همذان

الاَّ ان عبد الرحمن بعد خروجهِ بعسكرهِ عن همذان لم يرضَ بالرجوع الى الامين بالخيبة والفشل فانتهز تأمين طاهر لهُ فرصة يغتنمها فيأخذهُ مع قومهِ على غرة ويعمل بهم السيف ويعود الى الامين ظافرًا منصورًا وهكذا كان منهُ ان هجم على طاهر واصحابهِ بغتة فثبت لهُ رجالة طاهر وقاتلوهُ قتالاً احبوا معهُ الموت حتى قُتِل عبد الرحمن وارتدَّ اصحابهُ منهزمين الى عبد الله واحمد ابني الحرشي وكانا في جيشٍ عظيم قد سيَّرهُ الامين معونةً لعبد الرحمن فلما بلغ المنهزمون اليهما انهزما ايضًا في جندهما من غير قتالٍ حتى دخلوا بغداد وخلت البلاد لطاهر فاقبل يحوزها بلدةً بلدة وكورة كورة حتى قرب من بغداد سنة ١٩٧ فاقام علي حصارها مع هرثمة بن اعين وزهير بن المسيب وجعلوا يحفرون من حولها الخنادق وينصبون المجانيق والامين يبيع ما في الخزائن من الامتعة ويضرب انية الفضة والذهب ليفرقها على اصحابهِ ليخلصوا في الدفاع عن بيضة الملك والمحاصرون يضايقون عليها وينضم اليهم في كل اونة جماعة من القادة يبايعون المأمون ويقيمون معهم على قتال الامين حتى ضاق الامر بالاهلين وعمَّ البلاء وكانت هذه الحرب اول النكبات التي اصابت بغداد وقد وصفها الشعراء ومما قالهُ بعضهم عنها

بكيت دمًا على بغداد لما فقدت غضارة العيش الانيقِ
تبدلنا همومًا من سرورٍ ومن سعة تبدلنا بضيق
اصابتنا من الحساد عين فافنت اهلها بالمنجنيقِ
وقوم أُحرقوا بالنار قسرًا ونائحة تنوح على غريقِ
وصائحةٍ تنادي واصباحًا وباكية لفقدان الشقيقِ
وحوراء المدامع ذات ذلٍّ مضمخة المجاسدِ بالخلوقِ
تفرُّ من الحريق الى انتهابٍ ووالدها يفرُّ الى الحريقِ

كل ذلك يدل على ما صارت اليهِ بغداد من الحالة الشؤْمى والضنك الشديد وكان طاهر في تضاعيف ذلك يواصل القتال ويشدد الحصار ويمنع دخول الميرة اليها وقد صرف السفن عنها واحرق منازل الامين في الخيزرانة وكانت نفقتها عشرين الف الف درهم فهرب الامين الى الكرخ فاحطَّ عليها طاهر حتى دخلها بالسيف فلجأَ الامين الى مدينة المنصور اي الجانب الغربي من بغداد وقد تفرَّق عنهُ عامة جندهِ وخصيانهِ وجواريهِ وكان ذلك سنة ١٩٨

ولما دخل الامين مدينة المنصور واستولى طاهر على اسواق الكرخ وغيرها علم ان لا حول لهُ على الحصار فيها نخطر لهُ ان يخرج منها ليلاً ويقصد الجزيرة والشام فيلتف حولهُ اهل تلك البلاد فيكون لهُ مع المأمون شأن يذكر ثم خاف عاقبة الهرب وخشي ان يؤخذ اسيرًا فتكون في ذلك منيتهُ فرجع الى نفسهِ وعوَّل على ان يطلب الامان من هرثمة لانهُ اقرب اليهِ من طاهر واشفق عليهِ فارسل اليهِ يطلب الامان فاجابهُ الى ذلك وحلف لهُ انهُ يقاتل دونهُ ان همَّ المأمون بقتلهِ

فاستاء طاهر من طلب الامين وابى عليهِ ذلك وقال هو في جندي والجانب الذي انا فيهِ وانا الذي اخرجتهُ بالحصار حتى طلب الامان فلا ارضى ان يخرج الى هرثمة فيكون لهُ الفتح دوني ولذلك جعل حول قصرهِ قومًا يرقبون حركاتهِ . ولما كان الليل تهيأ الامين للخروج واذا بهرثمة قد بعث اليهِ برسول يقول لهُ ارى ان لا تخرج الليلة فاني رأيت على الشط ما رابني واخاف ان اغلب وتؤخذ من يدي وتذهب نفسك ونفسي فاقم الليلة حتى آتيك الليلة القابلة فان حوربت حاربت دونك فقال الامين للرسول ارجع اليهِ وقل لهُ لا يبرح فاني خارج اليهِ الساعة لا محالة ولست اقيم الى غدٍ ودعا بابنيهِ فضمهما اليهِ وقبلهما وبكى ثم جاء راكبًا الى الشط فوجد حرّاقة هرثمة فصعد اليها فاحتضنهُ هرثمة وضمهُ اليهِ وقبل يديهِ ورجليهِ فاحطَّ عليها اصحاب طاهر بالزوارق ورموها بالاجرّ والنشاب حتى غرقت فاخرج الملاح هرثمة من الماء واما الامين فلما سقط في الماء شق ثيابهُ فقبض عليهِ اصحاب طاهر وهو عريان وعليهِ سراويل وعمامة وعلى كتفهِ خرقة خلقة وحبسوهُ في بيت ولما انتصف الليل ارسل اليهِ طاهر قومًا من العجم فقتلوهُ واخذوا رأسهُ ومضوا بهِ اليهِ فأمر بدفن الجثة ونصب الرأس على برج من ابراج بغداد ومن ثم دخل طاهر المدينة يوم الجمعة فصلى بالناس وخطب للمأمون

روى ابو الفداء وغيرهُ ان طاهرًا ارسل رأس الامين الى اخيهِ المأمون بخراسان وكتب لهُ بالفتح وارسل البردة والقضيب والخاتم فلما رآهُ بكى واسف عليهِ كثيرًا فقال لهُ الفضل بن سهل اتقِ الله يا امير المؤمنين فانهُ كان يؤثر ان يراك كما رأيتهُ على ان المأمون احتفظ على الرأس واصحبهُ معهُ الى بغداد ودفنهُ حيث كانت الجثة

قيل ان زبيدة زوجة الرشيد ام الامين طلبت الى ابي العتاهية الشاعر المشهور ان يقول عن لسانها ابياتًا يستعطف بها المأمون فارسل اليها هذه الابيات

ألا ان صرف الدهر يدني ويبعدُ   ويمتع بالالاف طورًا ويفقدُ
اصابت بريب الدهر مني يدي يدي   فسلمت للاقدار والله احمدُ

وقلت لريب الدهر ان هلكت يدٌ   فقد بقيت والحمد لله لي يدُ
اذا بقي المأمون لي فالرشيد لي   ولي جعفر لم يفتقدْ ومحمدُ

ولما انتهت ابيات زبيدة الى المأمون بكى وامر على الفور ان يرد لها جميع ما سلب منها وكتب اليها اني اقول كما قال علي بن ابي طالب ما أُمرت بقتل عثمان ولا رضيت بهِ

ولما وسد الملك للمأمون ودخل بغداد وضعت الحرب اوزارها واستوثق الناس في كل البلاد بهِ واخلدوا الى الطاعة والسكون . يومئذٍ تجلَّت مواهبهُ العظيمة في اكبر مظاهرها فانصرف الى نشر العدل وتوطيد الامن واعلاء منار العلم والعمل على رواج التجارة والصناعة واحياء الزراعة وكل ما من شأنهِ توفير اسباب العمران والعروج في مراقي المدنية والحضارة

الاَّ ان الهمم العالية لا تسالمها الايام طويلاً ولا تستكن لها الحوادث ليتهيأً لها الاتيان على رغائبها الجليلة من العمل لخير الانسان وتحسين حال المجتمع بل تبعث لها بالمشاغل فتثبطها حينًا ريثما تظفر بها فتعود الى شأنها من العمل الطيب من مثل ذلك حدث للمأمون يوم قرَّب الحسن بن سهل منهُ وولاهُ فانكر الناس ذلك عليهِ حسدًا منهم واضمروا الشر حتى جعل الخلافة في آل علي ابن ابي طالب وبايع علي بن موسى بالخلافة من بعدهِ وامر جندهُ بطرح السواد شعار بني هاشم واتخاذ الثياب الخضر يومئذٍ ثارت ثائرة بني العباس عليهِ لميلهِ الشديد الى العلويين واحسانهِ اليهم فخلعوهُ عن الخلافة وبايعوا ابرهيم المهدي وسموهُ المبارك

بويع ابرهيم المهدي بالخلافة والمأمون يومئذٍ في خراسان على انهُ لم يتمتع بالملك طويلاً حيث قضى الله على علي بن موسى فمات واتصل خبر موتهِ باهل بغداد فتاقت نفوسهم لرجوع المأمون الى الخلافة لما رأوهُ فيهِ من علو الهمة وحسن السياسة وسعة العلم وكان المأمون يعرف ذلك منهم فلما زالت اسباب النفور بموت علي بن موسى قام الى بغداد فهرب ابرهيم المهدي واستتب للمأمون الملك وانقطعت الفتن وعاد فامر برجوع الجند الى لبس السواد

وكأن الدهر ندم على اساءتهِ الى مصلحٍ عظيم همهُ النهوض بالامة الى ذرى المجد فعاد وكفَّر عن الاساءة بمسالمة المأمون والاستكانة اليهِ فقضى بقية حياتهِ القليلة غير منشغل بغير الاصلاح الا في الاحايين في مناوشات غير هامة بينهُ وبين ملوك الروم

عاش المأمون ثمانية واربعين عامًا وتولى منها الملك عشرين عامًا وكان في تضاعيفها مثال الهمة العالية وعنوان العدل والحلم وقدوة رجال الاصلاح

قلنا ان اباهُ هرون الرشيد عهد بتربيتهِ ان نفر من جلة العلماء فتلقن عنهم العلم المعروف يومئذٍ وشب وهو متفنن بارع فيما تلقفهُ من الاداب والمعارف واذ انتهى الملك اليهِ جعل

يقرّب منهُ العلماء والشعراء ويبالغ في اكرامهم ويجري الرزق عليهم ابتغاء نشر العلم والنهوض بالامة الى ذرى الحضارة والعمران

فانشأ مجالس الترجمة وجمع في بيت الحكمة ما استطاع من الكتب الموضوعة في لغات اهل الحضارة في تلك الازمنة كاليونانية والسريانية والفارسية والهندية والقبطية والعربيَّة ووقف الناس على رغبتهِ الشديدة في ذلك فجعلوا يتفانون في جمع الكتب والمؤلفات على اختلاف ابحاثها ويتسابقون في اهدائها الى بيت الحكمة ارضاء لهُ وتزلفًا اليهِ

والَّف مجالس الترجمة من حنين بن اسحق العبادي الذي كان نابغة زمانهِ في صناعة الطب وهو عارف باللغة اليونانية فنقل كتاب اقليدس الى اللغة العربية وثابت بن قرة الحراني ويوحنا بن البطريق وسهل بن سابور ويوحنا بن ماكويه وجيورجيس بن بختيشوع فعربوا لهُ كتب فيثاغورس وارسطوطاليس وجالينوس وابقراط وغيرهم في كل فرع من فروع العلم والفلسفة . واشتغل المأمون نفسهُ بالعلم فكان اول من اهتمَّ بقياس درجة نصف النهار توصلاً لتقرير مساحة الارض ولما اطلع على كتاب المجسطي ووقف على صور آلات الرصد الموصوفة فيهِ جمع علماء الفلك كيحيى بن ابي منصور وخالد المرزوي وسند بن علي العباسي وامرهم ان يصنعوا آلات طبق ما جاء في كتاب المجسطي ليرصدوا بها الكواكب ففعلوا وتولوا الرصد بالشماسية في بغداد وطفقوا يقيدون ما يتبينونهُ من رصدهم وسموهُ الرصد المأموني

وليس هذا كل ما فعل المأمون بل التفت الى احياء كل دقيقة من دقائق جسم المجتمع ليكون النمو شاملاً لجميع اجزائهِ فكان للغة نصيب من اهتمامهِ حيث حمل اساطينها على ضبط شواردها ووضع قواعدها ومما يحكى عنهُ انهُ جاء بالفراء الكوفي وامر ان تفرد لهُ حجرة من حجر القصر وان يقوم بها على وضع الكتب في اصول النحو واللغة وكان المأمون نفسهُ متأدبًا بهذه الفنون عارفًا باصولها قيل انهُ كان ينظم الشعر ويجيدهُ ومما روي لهُ فيهِ قولهُ

بعثتك مرتادًا ففزتَ بنظرةٍ   واغفلتني حتى اسأتُ بك الظنا
فناجيتَ من اهوى وكنتُ مباعدًا   فيا ليت شعري عن دنوك ما اغنا
ارى اثرًا منها بعينيك بيننا   لقد اخذت عيناك من عينها حسنًا

ولهُ ايضًا

لساني كتوم لاسراركم   ودمعي نموم لسري يذيعُ
فلولا دموعي كتمت الهوى   ولولا الهوى لم تكن لي دموعُ

ومما لهُ ايضًا

انا المامون والملك الهمام ولكني بحبك مستهامُ
اترضى ان اموت عليك وَجدًا ويبقى الناس ليس لهم امامُ

وكان على علو شأنهِ وسمو مقامهِ وديعًا برًّا حليماً وقد روى عنهُ صاحب فوات الوفيات انهُ كان يقول لو عرف الناس حبي للعفو لتقربوا اليَّ بالذنوب. ولا شك ان النفس الكبيرة تعلو بصاحبها عن الصغائر فلا تأخذ الضعفاء على عثراتهم ولا تتنازل من مقامها العالي للاقتصاص والتشفي ممن اساء اليها او طعن عليها كما كان شأن المامون مع المسيئين اليهِ والطاعنين عليهِ يدفعهم بالحلم ويصدهم بالعفو فقد روي عنهُ انهُ مرَّ يوماً بملاح فسمعهُ يقول لمن معهُ اتراكم تظنون ان هذا ينبل في عينيَّ وقد قتل اخاهُ الامين فتبسم المامون وقال ما الحيلة حتى انبل في عين هذا السيد الجليل . وذكر ايضاً ان دعبل الشاعر الخزاعي هجا ابراهيم بن المهدي فرفع ابراهيم امرهُ الى المامون فقال لهُ لك اسوة بي فقد هجاني من قبلك وقال فيَّ

ايسومني المأمون خطة جاهلٍ او ما رأى بالامس راس محمدِ

ومع ذلك رضيت بما قال وعفوت عنهُ . وحكي عبد الله بن طاهر قال كنت يوماً عند المامون فنادى بالخادم يا غلام فلم يجبهُ احد ثم نادى ثانياً وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول : ما ينبغي للغلام ان ياكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام الى كم تنادي يا غلام . فنكس المامون رأسهُ فما شككت ان يامرني بضرب عنقهِ ثم نظر اليَّ فقال يا عبدالله ان الرجل اذا حسنت اخلاقهُ ساءت اخلاق خدمهِ واذا ساءت اخلاقهُ حسنت اخلاق خدمهِ وانَّا لا نستطيع ان نسيءَ اخلاقنا لتحسن اخلاق خدمنا

وترى كتب التاريخ ملأى بنظائر هذه الاخبار عنهُ الدالة على وفور حلمهِ وسمو عواطفهِ وحسبك منها ما لا ريبة في صدقهِ عفوهُ عن عمهِ ابرهيم بن المهدي يوم تنقب وخرج في زي امرأة فاستراب بهِ الحارس واقتفى اثرهُ حتى كشف امرهُ وساقهُ الى المأمون فاطلق سبيلهُ وعفى عنهُ

وجملة القول ان الخليفة المأمون كان شريفاً في عواطفهِ كبيرًا في علمهِ عظيماً في همتهِ واقدامهِ نهض بامتهِ الى مراقي الحضارة وشرفها على سائر الامم وجعلها محط رحال العلم والتجارة والزراعة والصناعة بعد ان دالت دولة الفلسفة من اثينا وخضدت شوكتها من الاسكندرية يوم كانت اوربا ضاربة في بيداء الجهالة تمرح بها القبائل من الجرمان والغالة وغيرهما ورائدهم السلب والنهب وليس فيها الاَّ القرى والدساكر القائمة بالاكواخ والمنازل الحقيرة المنبئة عن فقر اهلها وشظف عيشهم والقسطنطينية يومئذٍ في دور التأخر مشرفة على الاحتضار

نفوس الشعراء(١)

الشعراء وما ادراك ما الشعراء فئة من الناس رُزِقوا من بقاء الذكر اوفر نصيب فهذا السموأل قد خلَّد ذكرهُ بلاميتهِ الفخرية التي دارت على الالسنة حتى تمثل بابياتها الكتَّاب والخطباء والمحدّثون · وهؤلاء اصحاب المعلَّقات السبع قد حرص الادباء على نسخ قصائدهم وحفظها وطبعها وعُنوا بشرحها · وهذا الاعشى والحطيئة والنابغة وجرير والاخطل والفرزدق وابو تمَّام وابو الطيّب المتنبي وابو عبادة البحتري ومئات بل الوف غيرهم قد بقي ذكرهم بما نظموا من الشعر فكانَّما هم احياء باقون الى يوم الحشر والنشور · ولقد اشتغل الادباء ببيان طبقاتهم ولم ينظروا في ذلك الَّا الى حسن السبك ولطف الاسلوب ورقَّة المعنى وجمال التخيّل وهو امرٌ لا بدَّ منهُ لمن يهمهُ ان يعرف طبقات الشعراء

لكنَّ احداً ممن تصدَّى للكلام في اشعارهم لم يلتفت الى الينابيع التي نبعت منها فخطر لي انا المعترفة بقصر اليد ان اوجه النظر الضعيف الى تلك الينابيع لأعرف طبقات نفوسهم التي عنها صدرت اقوالهم ومنها جاءت قصائدهم ومقطوعاتهم فرأيتهُ خاطرًا جميلاً لهُ طلاوة الجديد وحلاوة المبتكر غير اني لم أجد رابيةً ولا قمَّة جبل ولا كوَّةً فأُطلَّ منها على نفوس الشعراء ولا غرض لي اطلبهُ فيها سوى الاشراف على نفوسهم فرأيت اكثر تلك النفوس لاصقة بملاذّ الابدان مؤتمرة اوامر الطمع والاهواء مشغولةً بما يلذُّ الحواس راكعةً ساجدةً امام ربَّات الحسن والجمال او واقفةً بابواب العظماء والكرماء وقفة السؤَال . فثلاثة ارباع الشعر العربيّ في باب الغزل وربعهُ في سائر الابواب وهو تقدير لا احسبهُ قصيًّا عن الصواب ولو سمت هممهم الى الملاذّ المعنوية ما لصقت نفوسهم بالملاذّ الحسية ولا انقادت لاوامر الطمع والهوى فهم اذًا في عبودية الدنيا كما سبق الايماء حاشا ابا العلاء المعرّي ومن حذا حذوهُ قولاً وفعلاً . فلقد رأيت نفسهُ كملك خرَّت الدنيا على قدميهِ فأعرض عنها واقبل يتأمل هذا الكون البديع الناطق بانهُ ابن القدرة الفائقة والحكمة العالية فيالها من نفس شريفة ليس لها غير الفضيلة حلة ألا وهي القائلة

ولو اني حبيت الخلد فردًا لما أَحببتُ بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليَّ ولا بارضي سحائبُ ليس تنتظم البلادا

---

(١) المرحومة عفيفة كريمة الشيخ سعيد الخوري الشرتوني وقرينة الشابّ الاديب الخواجه نصري موسى المتوفاة في ٦ شباط (فبراير) سنة ١٩٠٦ في مدينة بارا من اعمال البرازيل عن عشرين عاماً

فلو صوّرت نفس هذا الشاعر لتجلَّت لك الفضيلة . ولو صوّرت نفوس الشعراء المقيَّدة بحبّ الدنيا المسترقة للشهوات لبدالك معها الطمع كالحوت فاغرًا فاهُ والحسد كالنار تتقد في قلوبهم ولكننت تنشد حينئذٍ مع القائل في ابي العلاء

قدكان صاحبُ هذا القبر جوهرةً   كريمةً صاغها الرحمان من شرفِ
عزَّت فلم تعرفِ الايام قيمتها   فردَّها غيرةً منهُ الى الصدفِ

فكر ابي العلاء

لم يكن ابو العلاء من حيث الفكر سوقةً ولا رعيَّةً بل كان ملكاً فهو من اعاظم ملوك الافكار ومن اكابر قوّاد العقول واما غيرهُ ممن اطلعت على شعرهم فمعظمهم رعايا افكار من درجوا واصحاب معانٍ متداولة ولو اتفق لاحدهم اسلوب جديد في معنى مطروق ولم يكن قد عثر عليهِ فيما طالع او سمع بادر الى دعوى الابتكار كأنهُ قد فتح مملكة عظيمة . وربما لو استقري ما تقدَّمهُ من الاشعار لظهر انهُ مسبوق اليهِ لا حقَّ لهُ فيهِ الَّا ان يُعدّ من باب توارد الخواطر

على انك لو اخذت الابواب التي نظم فيها الشعراء قاطبةً ونظرت الى اصول المعاني لاستطعت ان تردّ الدواوين ديوانًا فانهم لا يختلفون الاَّ في صوَر التعابير وابواب الدخول على المعنى فيكون ذلك الديوان عصارة افكارهم وخلاصة ما انبتت قرائحهم . واما ابو العلاء فقد نظم كثيرًا من المعاني المتداولة لكنهُ جاء بمبتكرات متعدّدة فيحقّ القبهُ بقائد الافكار فلقد نهج سبلاً لم تنهج من قبل . مررت بخمسة وعشرين ديوانًا غير ديوانهِ ولا ضائع لي فيها الَّا الغرض الذي ذكرت فان كان قد سُبق الى ذلك فامرٌ لم اطّلع عليهِ

منزلة ابي العلاء ومنزلة الشعراء عند القوّة العاقلة

لو كان لمصوّرٍ ان يصوّر العقل متصدّرًا في مجلسهِ والشعراء يقبلون عليهِ بقصائدهم التي سبّحوا بها لربَّات الحسن والجمال او جعلوها حانات لاهل الشراب ومجامع للمغنين لرثى لهم ولبكى لسوء مصيرهم واراهم انهم قد تركوا ملاذّ النفس الشريفة الدائمة الى ملاذّ الجسد الدنيئة الزائلة ولكان يهنئُ ابا العلاء ويقرّبهُ ويجلّ قدرهُ ويكرم وفادتهُ . ذلك اولاً انهُ لم يرضَ لنفسهِ ان ينغمس فيما انغمسوا فيهِ كيف لا وهو الفاعل بما قال

ومن يطهّرْ بخوف الله مهجتهُ   فذاك انسانُ قوم يشبهُ الملكا

وثانياً انهُ استعان ببيانهِ ووقف اشعة ذهنهِ على ارشاد الافكار ودعاء الناس الى الخير فهو المتبّع وصيتهُ الصريحة في قولهِ

عليك بفعل الخير لو لم يكن لهُ   من الفضل الأَحسنهُ في المسامعِ

خلافًا لمن قال فيهم

لقد جاء قومٌ يدَّعون فضيلةً   وكلهمُ يبغي لمهجتهِ نفعا

ولعلك تقول لي ان بعض الشعراء قد نظموا في الحِكَم والنصائح والتوبة والزهد كابن الوردي والمتنبي وابي العتاهية والحريري فلَمَ لم تنظمهم في سلك ابي العلاء ولِمَ هذا الكلف بهذا الضرير. فقلت أَما كلفي بهذا الضرير البصر الصحيح البصيرة فلا لآصرة قرابةٍ او معرفة او التماس منفعة فبيني وبينهُ ما يزيد على ثمانمائة سنة فانا اعرف اسمهُ واقوالهُ فقط وهو لا يعرف من امري شيئًا ولا سبيل لي فاقول عنهُ كما قال عن نفسهِ في قول المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي   واسمعت كلماتي من بهِ صممُ

واما اني لم انظمهم وامثالهم في سلكهِ فلأن اولئك من السكارى بخمرة الملاذ الجسديَّة ومن اسارى المطامع البشريَّة لكنما قد عرضت لهم صحوات فأَبصروا طريق الهدى غير ان نفوسهم المصابة بهوى هاتيك الملاذ أبت عليهم ان تسلك ذلك الطريق فكان تأْثير قصائدهم المنظومة في تلك الصحوات مثل تأْثير الاغاني في بوق الفونوغراف فمن كان هذا حالهُ فهل يحق لهُ ان يجلس الى جنب مثل ابي العلاء الذي تكاد نفسهُ تكون سالمةً مما يشين الفضل او يقدح في النزاهة كما تدلُّ على ذلك افعالهُ وكلام الذين كتبوا سيرتهُ وعاشروهُ فكم في هذه الارض من قائل خير وفاعل شرّ ممن هم مصداق قول شاعرنا الصافي النفس

رويدك قد غررت وانت حرٌّ   بصاحب حيلةٍ يعظ النساء
يحرّم فيكمُ الصهباء صبحًا   ويشربها على عمدٍ مساء
يقول لكم غدوتُ بلا كساء   وفي لذاتها رهن الكساء
اذا فعل الفتى ما عنهُ ينهى   فمن جهتين لا جهةٍ اساء

◆ شواهد من اقوال شعراء الملاذ الجسديَّة ومن قول شاعر التهذيب ◆

لا احدًا ممن طالع الاشعار العربيَّة ينكر عليَّ شيئًا مما قلت ومع ذلك فقد حسن في عيني ان اروي لكلا الفريقين ما يمثلها للمطالع لان الشيءَ يظهر اتم الظهور متى قوبل بضدهِ قال متبنيهم متغزلاً

بما بعينيكِ من سحرٍ صلي دنفًا   يهوى الحياة وأَما ان صددت فلا
وقلبي على جمرٍ زكيّ من الهوى   وعيناي في روض من الحسن ترتعُ

ان كنتِ ظاعنةً فان مدامعي   تروي مزادكمُ وتروي العيسا (١)
خودٌ جنت بيني وبين عواذلي   حرباً وغادرت الفؤاد وطيسا (٢)

وقال مستجدياً

ارجو نداك ولا اخشي المطال بهِ   يا مَن اذا وهب الدنيا فقد بخلا

ياذا الذي يهب الكثير وعندهُ   أَني عليهِ باخذهِ اتصدقُ
امطر عليَّ سحاب جودك ثرَّةً   وانظر اليَّ برحمةٍ لا اغرقُ

وقلت قصيدة لابي الطيب خالية من السؤال وما اطول باعهُ في افانين الاستجداء فكأَنهُ امام بني ساسان

واما ابو العلاء فكان ارفع من ان يقول الشعر ابتغاء الصلة واعلى من ان يصرف نفسهُ عن جمال الخالق الدائم الى جمال المخلوق الزائل ومثلهُ تكون سطوة الجمال البشريّ على قلبهِ ذاهبةً بهِ الى الغرام بالجمال الالهيّ

وقال عنترة متغزّلاً

احبكِ يا ظلوم فانت عندي   مكان الروح من جسد الجبانِ
ولو اني اقول مكان روحي   خشيتُ عليكِ بادرةَ الطعانِ

وهو في اكثر قصائدهِ يتغزَّل بعبلة كما يتغزل كثير بعزَّة وغيلان بميّ وقيس بليلى وجميل ببثينة وعروة بعفراء فلهم في اولئك النسوة قصائد تصف سكرات الغرام وتصوّر ضعف النفس التي غلب عليها حبّ المحاسن الزائلة فهاك منها ما هو كحبة من كثيب (٣)

اذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ   من الحسن ميعاد السلو المقابرُ

فيا حبها زدني جوًى كل ليلةٍ   ويا سلوة الايام موعدك الحشرُ

فلوانْ ليلى الاخيليَّة سلَّمت   عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلَّمت تسليم البشاشة او زقا   اليها صدًى من جانب القبر صائحُ

رهبان مدين والذين عهدتهم   يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ كلامها   خرُّوا لعزَّة رُكَّعاً وسجودا

واليك مما قيل في الشراب وهو قطرة من سحاب

خليليَّ قد طاب الشراب المورَّدُ   وقدعدتُ بعدالنسك والعوداحمدُ

---

(١) المزاد جمع المزادة وهي قربة الماء والعيس الجمال البيض (٢) الوطيس : التنور (٣) تل رمل

فهاتا عقارًا في قميص زجاجةٍ   كياقوتةٍ في دُرَّةٍ تتوقدُ
يصوغ عليها الماء شبَّاك فضةٍ   لهُ حلقٌ بيضٌ تحلُّ وتعقدُ

فصبوا عقارًا في اناء كأَنها   اذا لمحوها جذوةٌ تتأكلُ (١)
تدبُّ دبيبًا في العظام كأَنهُ   دبيبُ نمالٍ في نقًا يتهيلُ (٢)

وقد اوصي بعض عبيد الخمرة قال

اذا متُّ فادفني الى جنب كرمةٍ   تروّي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني   أَخاف اذا ما متُّ ان لا اذوقها

وقد اوصى عبد آخر من عبيد الراح ان تصفّ لهُ الاقداح حول المقبرة في ابيات شردت عن حافظتي وضاعت ورقة كنت قد كتبتها عليها

شواهد من قول شاعر التهذيب

اعجل بتسبيح ربٍّ لا كفاء لهُ   او رتّلنهُ ولا تجنح الى رتلِ

لا تطيعي هواك ايتها النفس فنعمى المليك فينا ربيبه
فالزمي النسك ان عقلتِ وفرّي   من ذوي الجهل كي تعدّي لبيبه

ومما أدام الرزء تكذيب صادقٍ   على خبرةٍ منا وتصديق كاذبِ

الدين انصافك الاقوام كلهمُ   واي دينٍ لآبي الحق ان وجبا
وما الغواني الغوادي في ملاعبها   الأ خيالاتُ وقتٍ أَشبهت لعبا
اذا تفكرت فكرًا لا يمازجهُ   فساد عقل صحيحٍ هان ما صعُبا
فاللبُّ ان صحّ اعطى النفس فترتها   حتى تموت وسمّى جدّها لعبا

أَبينا سوى غشّ الصدور وانما   ينال ثواب الله اسلمنا قلبا

ودان اناسٌ بالجزاء وكونهِ   وقال رجال انما انتمُ بقلْ
فاوصيكم اما قبيحًا فجانبوا   واما جميلاً من فعالٍ فلا تقلوا
فاني وجدت النفس تبدي ندامةً   على ما جنتهُ حين يحضرها النقلُ
وان صدئت ارواحنا في جسومنا   فيوشك يومًا ان يعاودها الصقلُ

قد صدَّق الناس ما الالباب تبطلهُ   حتى لظنوا عجوزًا تجلب القمرا

---

(١) الجذوة : الجمرة   (٢) النقا : تل الرمل ويتهيل : ينحدر

قد فاضت الدنيا بادناسها   على براياها واجناسها
والشر في العالم حتى التي   مكسبها من فضل عرناسها
وكل حيّ فوقها ظالمٌ   وما بها اظلم من ناسها

والجسم للروح دار طال ما لقيت   هدمًا وحقّ لرب الدار تحويلُ
اخذتَ ميثاق ايام غررت بها   وما على ذلك الميثاق تعويلُ
في قبضة الله اعمارٌ مقسمةٌ   لها اذا شاء تقصير وتطويلُ

وشغلُ فمٍ يستغفر الله ذنبهُ   احقُّ بهِ من ذكر زينب او جُمْلِ

ولقد حفرتُ على اليقين بخاطرٍ   ما كاد يبلغ حفرهُ الانباطا

وارى ملوكاً لا تحوط رعيةً   فعلامَ تؤْخذ جزيةٌ ومكوسُ

مُلَّ المقام فكم اعاشر امةً   امرت بغير صلاحها أُمراؤُها
ظلموا الرعيّة واستجازوا كيدها   فعدوا مصالحها وهم أُجراؤُها

جهل الديانة من اذا عرضت لهُ   اطماعهُ لم يُلفَ بالمتماسكِ

وردنا الى الدنيا باذن مليكنا   لمغزًى ولسنا عالمين بما غزي
ذوو النسك خير الناس في كل موطنٍ   وزيهم بين المعاشر خير زي

فلا يغرّنك من قرائنا زمرٌ   يتلون في الظُلَم الفرقان والزُّمَرا
يبدي التدين محتالٌ ضمائرهُ   غير الجميل اذا ما جسمهُ ضمرا

وعظ الزمان فما فهمت عظاتهِ   وكأنهُ في صمتهِ يتكلمُ

كم وعظ الواعظون منّا   وقام في الارض انبياءُ
فانصرفوا والبلاء باقٍ   ولم يزل داؤك العياءُ

وكم فاتك الشيءُ الذي كنت راجياً   وجاءك بالمقدار ما لم تكن ترجو

اللبُّ قطبٌ والامور لهُ رحى   فبهِ تدبَّرُ كلها وتدارُ

اذا صغّروا اسماً حاسدوك فلا تُرَعْ   لذلك والدنيا بسعدك تفغرُ
فانّ الثريا واللجين وحسبنا   بها وسهيلاً كلهنّ مصغّرُ

والعقلُ يزجرُ والطباعُ مع النهى   كالفيل يضرب رأسهُ بالمعولِ

والحق يثقلُ كل غاوٍ ظالمٍ   واخو الديانة مــا يحسُّ بثقلهِ

وكيف لا تخبثُ النفسُ التي جعلت   من جسمها في وعاء كلهُ دنسُ

والجسم كالثوب على روحهِ   ينزع ان يخلق او يتسخ

ارواحنا معنا وليس لنا بها   علمٌ فكيف اذا حوتها الاقبرُ

النفس عند فراقها جثمانها   محزونة لدروس ربعٍ عامرِ
كحمامةٍ صيدت فثنّت جيدها   اسفاً لتنظر حال وكرٍ دامرِ

خالقٌ لا يشكّ فيهِ قديم   وزمانٌ على الانام تقادم

القلبُ كالماء والاهواء طافية   عليهِ مثل حباب الماء في الماء

ولو جزينا على خلائقنــا   امسك عنا الحيا فما نزلا

لا ييأسنّ من الثواب مراقبٌ   لله في الايراد والاصدارِ
فترى بدائع انبأت متحمساً   ان الجزاء بغير هذي الدارِ

لم يعفُ ربك عن مصرّ ماردٍ   لكن تجاوز عن مسيء تابا

لن تستقيم امور الناس في عصرٍ   ولا استقامت فذا أمناً وذا رُعبا
ولا يقوم على حقّ بنو زمنٍ   من عهد آدم كانوا في الهوى شعبا

خضبتَ بياضاً بالصبيب صبابةً   ببيضاء عدّتك البنان المخضّبا
وما كان حبل العيش الاّ معلّقاً   بعروة ايام الصبا فتقضّبا

تحلٍّ بتقوى او تحلٍّ بعفّةٍ   فذلك خيرٌ من سوار وخلخالِ

فقابل ان شئت بين اقوالهِ واقوالهم تجد ان لهُ نفساً لم تكن مطية للطمع والهوى كما ذكرت لك . ولقد تفنن فيما كرّرهُ من ذمّ مخالطة الناس ومن الانتقاد على القباح السيرة

وشدَّد النكير في ذلك ولا سيما على رجال الدين. واذا عارضتَ اقوالهُ في المرائين باقوال السيد المسيح في الكتبة والفريسيين تبيَّنت انهُ قد عقد كثيرًا من آيات الانجيل فمن ذلك قولهُ في اخفاء الاحسان

أسررْ جميلك وافعل ما هممتَ بهِ   ان المليك على الاسرار مطَّلعُ

هذا واختم مقالتي اولاً باني لم ارَ ابا العلاء في قبضة الاسف والغمّ تلتهب في قلبهِ جمرة الحزن لخطب نزل الاَّ عند ما قُبض والدهُ ووالدتهُ فقد استسلم للجزع واستولى الضعف على نفسهِ ونسي كل ما قالهُ في فائدة الموت وعدم مبالاتهِ بالمصائب وليتني كنت من اهل عصرهِ لكي انشدهُ في يوم ابيهِ قولهُ

تعبٌ كلها الحياةُ فما   اعجبُ الاَّ من راغبٍ في ازديادِ

واسمعهُ في يوم امهِ قولهُ

لا استقيلُ زماني عثرةً ابدًا   ما شاء فليأتِ انَّ الشهد كالصابِ

وثانيًا انهُ افرط في ذمّ البشر حتى قال

هل يغسلُ الناس عن وجه الثرى بشرٌ   فما بقوا لم يبارح وجههُ الدنسُ
يبغون منيَ مينًا لستُ احسنهُ   فان صدقتُ عرتهم اوجهٌ عُبسُ

وثالثًا اني التمس من فحول شعراء العصر ان يهجروا النظم فيما سئمتهُ النفوس ويستعينوا بما رُزقوهُ من القريحة الشعرية على خوض المواضيع التي تبعث النفوس على الاعمال الشريفة ألا وان الشعر الجيد يستميل القلب ويطرب السمع ويرتبط بالذاكرة فهذا ابو العلاء لاشكّ انهُ جاء بما ينبهّ الافكار وينير الاذهان فشعرهُ روضة ادب وصلاح ومثال لاحوال الدنيا واهلها. فهذه الافكار الصافية من ينبوع نفسهِ الصافية فهو اذا وقع الى ايدي الاعاجم ونقل الى لغاتهم يرفعونهُ على سائر الشعراء ذلك انَّ في بعض اشعارهِ من اشعة العقل ما ليس في دواوينهم ولولا خوف الاطالة لكنت اروي لك من بدائع لبهِ ما يأخذ بمجامع قلبك ويريك بعد المسافة بين فطرةٍ وفطرةٍ ولكن قلبي لا يطاوعني ان القي القلم من يدي قبل ان انسخ لك قول هذا الفاتح الفكريّ

لعمرك ما غادرتُ مطلع هضبةٍ   من الفكر الاَّ وارتقيتُ هضابها

اسباب الاحتلال البريطاني

(٢)

وصلنا في النبذة الاولى التي نشرناها في الجزء الماضي مقتطفة من كتاب لورد كرومر الى ما حلَّ بالقطر المصري من الضيق لما اصرَّت فرنسا وانكلترا على الحكومة المصرية لتدفع كوبون الدين فاضطرَّ الفلاحون ان يبيعوا محصولاتهم سلفًا بارخص الاثمان واضطرَّ النساء ان يبعن حلاهنَّ. وقد قال لورد كرومر بعد ذلك ان قومسيون صندوق الدين كان يرى من الجهة الواحدة انهُ يجب عليهِ ان يراعي مصلحة المداينين ويدافع عنها. ومن الجهة الاخرى ان اهالي القطر مظلومون مغبونون ولا يليق باخي المروءة والشهامة ان يغضي عنهم. وظاهر الامر ان مصلحة المداينين ومصلحة الاهالي متناقضتان والحقيقة انهما متفقتان فان المداينين والاهالي كانوا يشكون شكوى واحدة من فساد الحكومة واسرافها فلو صلحت الحكومة واقتصدت في نفقاتها لصلح حال الاهالي واستطاعت الحكومة ان توفي ما يُطلب منها من فوائد الدين من غير ان ترهق الاهالي. افلا يمكن ان تُستعمَل مصلحة المداينين وسيلة لاصلاح الحكومة المصرية فتصلح حال الاهلين وتضمن مصلحة المداينين. هذه كانت المسألة المهمة التي شغلت الافكار حينئذٍ. ومن البيّن ان لفرنسا وانكلترا المصالح الكبرى في القطر المصري سياسيًّا وماليًّا فلنائبيهما وهما لورد كرومر والمسيو ده بلنيير الكلمة العليا في صندوق الدين ولكن المداينين الانكليز كانوا اقرب الى التساهل والانصاف من غيرهم على ما قالهُ لورد كرومر فلم يطلبوا منهُ ان يضحي مصلحة غيرهم لاجل مصلحتهم لاسيما وان في البلاد الانكليزية حزبًا قويًّا ضدهم يهتمّ بانصاف المصريين ولو ظلم المداينين. واما المداينون الفرنسويون فكانوا متسلطين على الحكومة الفرنسوية ولم يكونوا يجدون في الرأي العام الفرنسوي مقاومًا لهم كما وجد المداينون الانكليز

ورأى صندوق الدين من ذلك الحين انهُ لا بدَّ من تخفيض معدل الربا ولكنهُ وجد انهُ لا يستطيع ان يحل هذه المسألة حلاً صحيحًا ما لم يقف على حال مالية الحكومة بالتدقيق ويعرف ما لها وما عليها معرفة تامَّة فطلب ان تؤلف لجنة لتحقيق ذلك فرضي الخديوي اسمعيل ان يعين شخصًا واحدًا لتحقيق حال الايرادات لا غير واتَّفق ان الجنرال غوردون كان راجعًا حينئذٍ من السودان وكان الخديوي يعلم انهُ مشهور في بلادهِ وان ضلعهُ مع المصريين وهو يجهل الامور المالية فيصدّق كل ما يقال لهُ فاحبَّ ان يعينهُ للتحقيق ولكنهُ لم يفلح في ذلك

لان غوردون نفسهُ رأى ان هذا التعيين ظاهري فقط يُقصد بهِ التضليل فلم يقبل بهِ بل غادر البلاد حالاً

ولجَّت انكلترا في طلب التحقيق التام وساعدتها المانيا والنمسا وايطاليا ولكن الحكومة الفرنسوية لم تشدّد في طلب التحقيق لانها علمت ان نتيجتهُ ستكون تخفيض معدَّل الربا. واقامت انكلترا على لجاجتها خمسة اشهر الى ان صدر امر الخديوي في ٤ ابريل سنة ١٨٧٨ بتعيين لجنة التحقيق برئاسة المسيو ده لسبس وجعل السر رفرس ولسن ورياض باشا نائبين لهُ. وقد اطنب لورد كرومر بمدح رياض باشا على ما ابداهُ من الحرية والاستقلال في الرأي وعدم المصانعة للخديوي اسمعيل

وطلبت لجنة التحقيق من شريف باشا ان يحضر ويجيبها عن بعض المسائل وكان الامر الخديوي يوجب على كل موظف ان يجيبها عما تسألهُ اما شريف باشا فابى ان يحضر امامها واستعفى من منصبهِ وكان ناظرًا للحقانية

ولا نسأل عن المظالم والمغارم التي اكتشفتها لجنة التحقيق في طرق ابتزاز الاموال من الاهالي ولا عن مهاوي الاسراف والتبذير التي كانت تصبُّ فيها الاموال المصرية. من ذلك ان اميرة من العائلة الخديوية اشترت ثيابًا من بيت فرنسوي بمئة وخمسين الف جنيه. ومنها ان الخديوي كان يضارب في البورصة ويخسر مبالغ طائلة. وكان يدفع المبالغ الكبيرة لبعض الجرائد الاوربيَّة حتى تتغنَّى بمدحهِ. ومنها انهُ أُنفق على انشاء مرفإِ الاسكندرية مليونان ونصف من الجنيهات وهو لا يكلف اكثر من مليون واربعمائة الف جنيه الاَّ ان المرفأَ كان متقنًا مفيدًا. وفي احوال اخرى كثيرة كانت الحكومة المصريَّة تطالَب باموال طائلة وهي لا تعلم كيف أُنفقت تلك الاموال. هذا ناهيك بالربا الفاحش الذي كان يدفع الى بعض المداينين وببيع النسيئة او المضاربة وهو ان تبيع الحكومة مقدارًا كبيرًا من المحصولات لبعض التجار وتقبض ثمنها نقدًا وهي ليست عندها ولا تنتظر ان تستغلها فاذا جاء وقت التسليم سلَّمت بعض ما باعتهُ لانها كانت تأْخذ بعض الضرائب عينًا واشترت البقية من المشتري بثمن يزيد على الثمن الذي باعتهُ بهِ ٢٥ في المئة وقد لا تستطيع ان تسلّمهُ شيئًا مما باعتهُ اياهُ ولا تستطيع ان تسلّمهُ الثمن فتعطيهِ سندات سندات عليها فائدتها ١٨ الى ٢٠ في المئة سنويًّا وذلك ليس عن الثمن الرخيص الذي باعتهُ بهِ بل عن الثمن الغالي الذي "غطَّت" بهِ اخيرًا ما باعتهُ لهُ اولاً. ولذلك فالربا الذي كانت تدفعهُ يفوق كل تقدير والامثلة على هذا كثيرة جدًّا منها ان الحكومة ارادت مرةً ان توفي بنكًا مبلغ ٧٢٠٠٠

جنيه فاعطتهُ سندات قيمتها الاصلية ٢٣٠٠٠٠ جنيه وفائدتها ٦ في المئة سنويًّا لانها حسبت ان سعر المئة الجنيه من سنداتها حينئذٍ ٨/٥ ٣١ فحمَّلت البلاد دينًا مقدارهُ ٢٣٠٠٠٠ جنيه بفائدة ٦ في المئة لكي توفي ٧٢ الف جنيه لا غير

ومن المغارم التي ذكرها لورد كرومر دين الرزنامة الذي ابتدعتهُ الحكومة الخديوية سنة ١٨٧٤ وهو خمسة ملايين من الجنيهات طلبتها من الاهالي بفائدة ٩ في المئة سنويًّا وقبضت الخزينة منها ١٨٠٠٠٠٠ جنيه ولكنها لم تعطِ بها سندًا ولا اعطت الفائدة الاَّ مرةً واحدة وذلك لبعض المقرَّبين لا غير. واستدانت الاموال التي كانت في بيت المال واكلت الاصل والفائدة

واسهب لورد كرومر في وصف ادواء الحكومة المصرية حينئذٍ ووصف العلاج الذي اشارت بهِ لجنة التحقيق بعد بحث اربعة اشهر ومدارهُ على امرين الاول تعيين نظارة للمالية تتولى جمع الاموال الاميرية وانفاقها حسب ميزانية تعمل لذلك مستقلةً عن الخديوي. والثاني تعيين راتب محدود للخديوي بدل املاكهِ وتعطي املاكهُ للحكومة. وارسلت اللجنة تقريرها الى الخديوي في اوائل اغسطس فتردد اولاً عن قبول ما اشارت بهِ ولكن نوبار باشا اشار عليهِ بقبولهِ فقبلهُ وطلب من نوبار باشا ان يؤلف وزارة مسأولة ليحكم البلاد معها وبها فالَّف الوزارة واخذ نظارتي الخارجيَّة والحقانية وعيَّن رياض باشا للداخلية والسر رفرس ولسن للمالية والمسيو ده بلنير للاشغال العمومية واصدر الخديوي امرًا في ٢٩ اكتوبر اعطى بهِ املاكهُ للحكومة وخوَّلها ان تقترض ٨٥٠٠٠٠٠ جنيه بضمانة تلك الاملاك وان تدار تلك الاملاك بمجلس مؤلف من مدير مصري ومدير انكليزي ومدير فرنسوي والاخيران تعينهما دولتاهما. واستلم السر رفرس ولسن والمسيو ده بلنير مقاليد منصبيهما في آخر نوفمبر سنة ١٨٧٨

ومدح لورد كرومر تلك الوزارة واثنى على نوبار باشا بما هو اهلهُ وقال انهُ (اي نوبا باشا) كان يرى وجوب استقلال الوزارة عن الخديوي لكي تأخذ حريتها في البحث والعمل وهذا كان رأي رفرس ولسن ايضًا ولكن لورد ڤڤيان معتمد انكلترا في القطر المصري كان يرى انهُ لا يمكن اقصاء الخديوي عن مجلس النظار ولا يمكن العمل بدونهِ لشدة سطوتهِ في البلاد فاذا لم يهتم بمساعدة مجلس النظار اهتم بمقاومتهِ وهذا كان رأي لورد كرومر ايضًا . وكان الخديوي يشكو من ان انكلترا وفرنسا تعدانهِ مسؤُولاً عن حكومة البلاد والوزارة تعمل اعمالها بغير مشورتهِ

وكانت الضيقة المالية قد الجأَت الحكومة الى تأْخير دفع الرواتب للجنود والى رفت كثيرين من الضباط لكي تتخلص من دفع الرواتب لهم وكان في مصر ٥٠٠ من الضباط واستدعى ناظر الحربيَّة ٢٠٠٠ من الاقاليم لكي يدفع اليهم جانبًا من المتأْخرات ويأْخذ اسلحتهم فتمردوا وترصدوا نو بار باشا والسر رفرس ولسن وهما ذاهبان الى الديوان صباح ١٨ فبراير فهجموا عليهما واهانوهما وجرُّوهما الى نظارة المالية وحبسوهما فيها وقطعوا اسلاك التلغراف لكنهما وجدا من اوصل خبرهما الى لورد ڤڤيان فقابل الخديوي حالاً وركب الخديوي معهُ الى نظارة المالية فوسَّع الضباط الطريق لمركبتهِ بكل احترام وحيوهُ التحية المعتادة ودخل هو ولورد ڤڤيان نظارة المالية فوجدا نوبار باشا ورياض باشا والسر رفرس ولسن في غرفة يحيط بها الثائرون فامرهم الخديوي ان يخرجوا من النظارة ووعدهم بان ينظر في شكاويهم فاطاعوهُ كرهًا وهم يطلبون ان يتركهم لكي يأْخذوا حقهم بيدهم ولما نزلوا الى الدار انضموا الى سائر الضباط فامرهم الخديوي ان ينصرفوا الى بيوتهم ولما ابوا امر العساكر ان يطلقوا النار عليهم فاطلقوا النار جزافًا في الهواء واطلق بعض الضباط مسدساتهم على العساكر فجرحوا بعضهم وهجم عليهم العساكر بالحراب فجرحوا بعضهم ايضًا وضرب احد الضباط رجلاً من بطانة الخديوي بسيفهِ فجرحهُ وهو واقف الى جانب الخديوي . ودامت الحادثة نصف ساعة

واخبر الخديوي وكلاء الدول يومئذٍ انهُ لا بدَّ من تغيير الحالة الحاضرة ورد السلطة اليهِ والاَّ فهو غير مسؤُول عما يحدث في البلاد . وذهب وكيل انكلترا ووكيل فرنسا اليهِ وطلبا منهُ ان يخبرهما ما هو التغيير الذي يطلبهُ فقال ان يترأَس هو جلسات مجالس النظار او ان يباح لهُ ان يختار رئيسًا للنظار يثق بهِ لانهُ لا يثق بنوبار باشا بل يعتقد انهُ عامل على نزع كل سلطة من يدهِ . فسأَل الوكيلان نوبار باشا هل يكفل حفظ النظام اذا عضداهُ فاجاب كلاَّ لا يمكنني ان افعل ذلك وطلب منهما ان يقدما استعفاءهُ الى الخديوي ففعلا . وكان لهذه الحادثة نتيجتان نتيجة قريبة وهي استعفاء الناظرين الاوربيين وبعيدة وهو تنبُّه الجنود الى المطالبة بحقوقهم المهضومة فقبل ذلك كانوا يشكون ولا احد يسمع فلما سمعت شكواهم في هذه النوبة تجرَّأُوا على المجاهرة بالشكوى وعلموا ان لهم صولاً وحولاً ما دامت اسلحتهم في ايديهم . وذلك التمرُّد الطفيف كان فاتحة الثورة العرابيَّة كما سيجيءُ

وذكر لورد كرومر ما شاع حينئذٍ وهو ان الخديوي اسمعيل كان المحرِّك لذلك التمرُّد لكي يتخلص من وزارة نوبار باشا ومن السيطرة الاجنبيَّة فقد روى بعضهم ان شاهين باشا

اخبر الخديوي قبل ذلك بايام قليلة عن ظلامات الضباط فقال لهُ الخديوي بالفرنسوية Pourquoi les officiers restent-ils tranquilles? اي لماذا يبقى الضباط ملازمين السكينة وكلمة مثل هذه تكفي لاقناع الضباط انهم اذا قاموا فالخديوي معهم

في العزلة(١)

(١)

جاء في الامثال ان في الحركة بركة وليس فيكم على ما اظن من ينكر صحة هذا المثل او من لا يعمل بهِ واما هذا الفقير فانهُ لا يعتقد بصحتهِ ولا يعمل بموجبهِ. وقد خطر لي منذ سنين ان اعكس الآية واجري على ضدها. فقلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي القعود سعود وفي الهدوّ نموٌّ وسموٌّ واشياء اخرى من هذا الباب. ولا يخفى عليكم ان في هذه الامثال حكمة تختلف عن حكمة المثل السابق بل تختلف اختلافًا جوهريًّا يحاكي اختلاف النفس عن الجسد. فالحكمة فيها روحانية معنوية وحكمة من يقول ان في الحركة بركة مادية عملية تجارية لذلك آثرت الاولى على الثانية. فاوقفت عملي وخرجت من الوسط المضطرب لافكّر قليلاً في ما انا فيهِ لارى اين انا من نفسي ومن الله. وحقًّا اني تألمت لما وقفت متأملاً: تألمت لما رأيتني قريبًا من الناس بعيدًا عن نفسي وعن الهي. فتركت الحركة والبركة للعمال ولبني الاشغال وسلكت في نور الحكمة والحقيقة مسلكًا جديدًا. وهذه حالة لا بدَّ منها لكل من تنبهت فيهِ الروح. هي طور من اطوار الفيلسوف الاولى اول ريشةٍ في جناح الشاعر. اول حادثةٍ خطيرة في حياة الاولياء والانبياء. اول عقدة روحية عقلية يعجز عن حلها اكثر المفكرين. وجدت نفسي في هذه الحالة متألمًا متحيرًا مترددًا. تألمت كثيرًا لما رأيتني في الغربة بين شعب لا يعرف معنى السكينة ولا الراحة ولا الجمال. وجدت نفسي في بلادٍ فيها الحركة دائمة متواصلة واما البركة فيقال فيها ما يقال في بعض الامراض انها حادة متقطعة. وجدت نفسي بين قوم يأكلون ماشين ويقرأُون آكلين ويعدون النقود راكضين ويعبدون الاوثان قائمين قاعدين. يقدمون ارواحهم ضحية لآلهة ما سمعت باسمائها العصور الغابرة. عشت زمنًا بين قوم يقال انهم مسيحيون ولكنهم

---

(١) خطبة تليت في جمعية شمس البر ببيروت

في الحقيقة وثنيون . وثنيون بترفهم و بطرهم . وثنيون باخلاقهم وشعورهم . وثنيون بمطامعهم واستئثارهم . وثنيون بتعدد آلهتهم . واما هياكل هذه الآلهة واصنامها فانك لا تشاهدها بباصرتك قائمة في الاسواق بل ينبغي ان تنظر اليها ببصيرتك فتراها في كل حي وجماد يتحرك . تعال معي لاريك آلهة هذا الزمان الجديدة . آلهة هذا التمدن الحديث . تعال معي لاريك من الهياكل والاصنام الوانًا واشكالاً فهذا صنم من القطن لاله البورص وذاك صنم من الفحم لاله المعادن . هذا صنم من السكَّر لاله الحقول وذاك صنم من الخشب لاله الغابات . وههنا هيكل من المرمر والرخام لاله التجارة وهناك الهيكل الاكبر المشيد من حجارة الذهب والفضة لاله الآلهة اله الامة اله المال. والناس هنالك يعبدون اموالهم راكضين من هيكل الى آخر ومن اله الى اخيهِ . يعبدون هذه الآلهة الغريبة قائمين قاعدين . يعبدونها ويخدمونها ويموتون في سبيلها . يعبدونها في كل حالاتهم . يخدمونها في حركاتهم وفي سكناتهم. فخرجت من بين هؤلاء المشركين طالبًا في البرية ربي مثل ابرهيم. خرجت من بينهم وانا على اعتقاد ان المرء ان قرب من العالم الجديد ابعد عن الطبيعة وعن الشعر وعن الجمال الروحي وعن الله . ولذلك حوَّلت وجهي الى مشرق الشمس وعدت في طريقي الى ارض الانبياء . عدت الى وطني لاقترب من جمال الشرق الشعري وجمالهِ الطبيعي وجمالهِ الروحي بل الالهي اي الجمال الدائم الابدي الذي لا تشينهُ الحالة السياسية المختلة ولا الحالة الاجتماعيَّة المعتلة

عدت الى مسقط رأسي باحثًا عما اضعتهُ هناك ايام الصبا . افلتُّ من اشراك التمدن والحمد لله وفررت هاربًا الى الفريكة . على كتف الوادي و بالقرب من كروم اجدادي نصبت خيامي . فوق نهر الكلب وقبالة جبل صنين رفعت رايتي البيضاء عوضًا عن العلم الاحمر الذي وضعتهُ في يدي احدى بنات الحرية في البلاد الاميركية . رفعت علَم السلم فوق فلسفتي الاجتماعية بعد ان كان علَمي علم القتال وكتبت على بابي — في اصلاح الفرد اصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكام . نعم سادتي ان التهذيب خير من التخريب. على ان ذلك ليس من موضوعي هذه الليلة فالمجال ضيق لمثل هذا البحث واضيق منهُ منبر هذه الجمعية

عدت الى وطني طالبًا فيهِ راحة العقل وراحة النفس وراحة الجسد . بل طالبًا فيهِ شيئًا اشرف من كل ذلك واسمى — طالبًا في الطبيعة ومنها ما ينسي المرء عقلهُ ونفسهُ وجسدهُ . عدت يا سادتي لا كما عاد قيصر الى رومية او هوجو الى باريس . عدت قانعًا

شاكرًا راضيًا وتذكرت السندباد لما عاد من سفراتهِ وابا العلاء لما عاد الى معرتهِ . فشكرت الله كالسندباد على سلامتي في الغربة . وجئت كابي العلاء الى العزلة في قريتي هربًا من الحضارة ومتاعبها . وشغفًا بالطبيعة وجمالها . وحبًّا بالتأمُّل ولذّاتهِ . وتقرُّبًا من الله وبركاتهِ . فدخلت هذه المدينة كما يدخل الكاهن الهيكل او اللص البيت . دخلتها من باب السر فلم يدرِ بي من الاخوان احد . وصعدت الى الجبل ولم يدرِ بي احد . واقمت هناك زمنًا في ظلال الصنوبر ولم يدرِ بي احد . فاضطجعت على العشب ورأسي في ظل وزّالة زاهرة — انَّا للطبيعة وانَّا اليها راجعون — وشكرت الله شكرًا جزيلاً ووددت لو كان بيني و بين المدن اضعاف ما بيني وبينها من الوهاد والجبال والبحار

واظنني اخطأت مرةً فردّدت بصوتٍ عالٍ صدى صوت نفسي . وما علمت ان للاشجار عيونًا وللصخور آذانًا . بل ما علمت انّ النهر يحمل الى المدينة صدى صوت الوادي وصدى ارواح ساكنيهِ . ففي صباح يوم من فصل الشتاء سمعت حديثًا دار بين شجرة كبيرة من الصنوبر واخرى صغيرة او بين ام الغاب واحدى بناتها . قالت الابنة مَن هذا الغريب الذي لا يخاف السكنى معنا في هذا الشتاء فاجابت الام . ما هو بغريب يا بنيتي وانما هو من نبات هذه الارض ومن سنديان هذه الجبال . هو من ابنائنا يا بنيَّة . وقد طالما حملتهُ وحملتهُ من ثماري لما كان صغيرًا . قد طالما فرشت لهُ من ريشي وظلي ما يزيل تعب الجسد وهم الفؤاد و بعثت اليهِ من ارج نسيمي ما ينعش النفس ويحييها ومع ذلك فقد هجرنا زمنًا طويلاً وعاد اليوم ليكفّر عن ذنوبهِ امامنا وفي ظلنا . حبيهِ يا بنتي فانهُ يحبنا

وبمثل هذا كانت الاشجار تفشي اسراري الى النهر والنهر يحملها الى البحر والبحر يلقيها بلا اكتراثٍ على شواطىء هذه المدينة . وقيل ان الصيادين سمعوا ذات يوم في هدير الامواج اصواتًا غريبة مطربة فظنوا ان احدًا من الجنّ يكلمهم بلساننا العربي الشريف . وقيل انهم فهموا من الغاز الامواج شيئًا يسيرًا واشاعوا في البلد اشاعات تحوّلت بعد ايام خرافاتٍ وخزعبلات تشير كلها الى انّ في وادي الفريكة ناسكًا تسجد لهُ الصخور وتخاطبهُ الاشجار وتكلمهُ السواقي وتستشيرهُ الطيور . فاستغربت الخبر كما استغربهُ الناس وبعد ان فتشت في الوادي عن الناسك واعياني التفتيش كتبت الى احد الاصدقاء كتابًا هزأْت فيهِ من هذه الخرافات التي نصّها البحر على الصيَّادين واذاعها الصيادون في المدينة فزاد الكتاب الطين بلة لانّ الادباء الذين سخروا مثلي بهذه الخرافات اعتقدوا بعدئذٍ صحتها وطفقوا ينشرونها في اندية الادب فجسمت الاشاعة حتى استحالت خرافة واصبحت في اعتقاد الناس حقيقة راهنة . فاهتمّ

بعض اعضاء هذه الجمعية بالامر وكتب احدهم اليَّ لاصدقهُ الخبر. ثم جاءني من الجمعية نفسها كتاب تسألني بهِ ان اتحفها بشيءٍ من اخبار الناسك واسفارهِ. وبعبارةٍ اوضح دعتني الى الخطابة في حفلتها السنوية منذ سنتين فلبَّيت الدعوة وبعثت الى الجمعية بشيءٍ من ثمار نفس الناسك المذكور ولبثت انتظر جوابها وبينما انا اتوقع منها كتاب شكرٍ جاءني الرسول بعد اسبوع ومعهُ الثمار التي بعثتها. ثماري اعيدت اليَّ. ردَّت الجمعية هديتي بلا عذر ولا شبه عذرٍ ارجعت الثمار واغفلت الاعتذار وبعثت مع الرسول تقول قد فحص الطبيب ثمارك فوجدها مضرةً بصحة هذه الامة. وجد فيها مكروبات عديدة غريبة خبيثة. فكانت هذا منها اهانة فوق اهانة لكنني قبلتها شاكرًا وحسبتها من جملة ما ينبغي ان يعرض عنهُ المرءُ في عزلتهِ حسبتها مما ينبغي ان نترك وراءنا اذا حوَّلنا وجهنا نحو شمس النفس الشارقة من وراء جبال الحقيقة المرسلة ما فاض من نورها فوق مروج الشعر وبحيرات الخيال. فظلَّ الناسك والحال هذه هائمًا في واديهِ ولم يدرِ ان الجمعية لم تزل تناديهِ. على انهُ لم يكد يرفع طرفهُ الى سماء الروح ويلمس بيدهِ ما تجسم امامهُ من السعادة الروحية الحقيقيَّة حتى جاء هذا الشتاء وفيهِ ما هو مقضي عليهِ من الشدة والبلاء. فهجر صومعتهُ في الجبل مضطرًّا واستعاض من شذا الاودية بروائح الادوية وعن الاولياء بالاطباء. مع ان الفرق بين الاولياء والاطباء قليل لا يستحق الذكر. فكم من طبيبٍ فاضلٍ يستحق ان يطوَّب قديسًا او يدعى وليًّا بعد موتهِ فقد تعرفت بفضل آلامي العصبيَّة بعددٍ وافرٍ من هؤُلاء النطس وبان لي بالاختبار ما كنت اجهلهُ. تحققت ان الفرق بين الطبيب والكاهن كالفرق بين الكاهن والمحامي. كلهم نفعنا الله بعلمهم وبرّهم يتعاطون الجربزة. كلهم يتاجرون بشيءٍ من الحقيقة وبكثير من الخزعبلات والاوهام. على ان الطبيب ارفع درجة من الكاهن والكاهن ارفع درجة من المحامي. والثلاثة يا سادتي من سلالةٍ واحدة ومن بطن واحد. ثلاثة عقبان من بيضة واحدة. ومن الشرور ما كان لازمًا للبشر. ومن الشرور ما هو نافع للانسان. وقد كنت اسيرًا لشيءٍ منها في هذه المدينة

لما جاءني رئيس هذه الجمعية أسرني بلطفهِ وجميل ادبهِ وكلمني مرةً اخرى في امر الخطابة. الحَّ عليَّ الرئيس وعدد من الادباء باسلوب جعلني اظن ان الجمعية تنوي ان تحاصرني في الفريكة وتعقد جلستها هناك اذا كنت لا اتكلم في حفلتها هنا. نخفت من المضايقة في عزلتي ونتيجة خوفي ايها الكرام وقوفي امامكم الآن خطيبًا. عفوًا سادتي ما جئتكم خطيبًا هذه الليلة بل محدثًا وسأُحدثكم في موضوع العزلة ومنافعها ومضارها

(٢)

العزلة اما داءٌ واما دواءٌ واما غذاءٌ . هي داءٌ لمن لا يجد في نفسهِ ما يغنيهِ عن معاشرة الناس ولو زمنًا قصيرًا . وهي دواءٌ لمن سئمت نفسهُ من ملاذ هذا المجتمع وموبقاتهِ من سرورهِ وشرورهِ فيعود الى امهِ الطبيعة لتداويهُ بنور شمسها وعليل هوائها وشذا رياحينها . وهي غذاءٌ لمن يخرج من الهيئة الاجتماعية والنفس نافرة من محيط هي غريبة فيهِ . يعتزل الانسان طالبًا في الطبيعة الراحة التي لا يعرفها الناس. واللذات التي لا يشعر بها الناس . والتعزية التي قلما تعزي عامة الناس . نفس الاول خامدة جامدة . ونفس الثاني سقيمة عقيمة . ونفس الثالث من الانفس السامية الكبيرة التي قلما تنام . فهي تفيق من هجعتها قبل صياح الديك فتفتح عينيها في ظلمة الليل الحالكة وتقاسي قبل بزوغ الفجر من العذاب والحيرة اشدهما . تبتدئ هذه النفس بالمقاومة والتمرد فتقاوم القوات التي تعترضها في طريقها وتتمرد على كل من يحاول ابقاءها في الظلمات الدامسة . تسير بنور مصباحها الداخلي الى ان تخرج من الظلمات بفضل ما فيها من الشجاعة والاقدام والثبات فتتدرج من الظلمة متمردة الى العزلة هادئة وتعاني فيها بادئ بدء نوعًا جديدًا من العذاب . تعاني هناك عذابًا هو اساس كل لذاتها الروحيَّة . العذاب الذي يقاسيهِ من تعودت اعصابهُ المخدرات والمسكنات اذ ينقطع عنها تمامًا . ومن العزلة تعود هذه النفس المحررة المستنيرة المتمردة الى المجتمع لتتم فيهِ ارادتها لتنير ولو زاوية صغيرة فيهِ بما فاض من نورها

شبهت الانقطاع عن الناس بالانقطاع دفعة واحدة عن المسكّنات التي يعتادها المريض . فهل خطر لاحدٍ منكم ان يستشير ربهُ بواسطة الطبيعة في امر روحهِ المريضة كما يستشير الطبيب في امر جسدهِ . ايدهشكم قولي لكم اننا كلنا مرضى بوجهٍ ما . وفي هذا المجتمع كما هو اليوم بالاخص بما فيهِ من دواعي الامراض والهموم والاحزان تنسينا الحركة الدائمة آلامنا . ولا اذكر الآن اي علماء الالمان قسم الناس ثلاثة اقسام فقال — قسم منهم يولد للمستشفى وقسم للمارستان والقسم الثالث للبادية . اي ان ذلك العالم الالماني يقول ان الناس اما مرضى واما مجانين واما برابرة . ومع ما في هذا القول من الغلو والضلال والكفر — فقد كفر العالم بالنفس واساء فهم نواميس الطبيعة وغالى في تقبيح الانسان — مع ما في قولهِ مما ذكرت فهو لا يخلو من الحقيقة . غير انها حقيقة ناقصة متجزئة . واما الحقيقة كلها الحقيقة الشاملة الابدية هي ان الناس كلهم سواء من وجهة الفيلسوف . ومن هذه الوجهة

ايضاً يمكننا ان نقسم البشر الى قسمين اوليين . قسم الاحياء روحياً وقسم الاموات وهاتان الطبقتان نشاهدهما في كل شعب حضرياً كان او بدوياً . ففي البداوة اناس تتنبه فيهم الروح وتنهض من سباتها كما في الحضارة ، بل في البدو تبلغ الروح المتفردة الكبيرة اعلى درجةٍ من السمو والقوة والجمال . فيخرج من البادية رجال كما يظهر في المدن رجال . فان نبغ في نويرك المخترعون وفي لندرا العلماء وفي برلين الفلاسفة وفي باريس الشعراء وفي فلورنسة المصورون والنحاتون ففي البادية ينشأُ الانبياء . لكل بلاد مزية طبيعية ثابتة دائمة . وفي كل نفس بشرية شيء من سماء البلاد التي نشأت فيها ومن ارضها . فيها شيءٌ من تبر وطنها ومن ترابهِ . من خير هوائها ومن شرهِ . من فتورهِ ومن نشاطهِ . من هدوهِ ومن هياجهِ . فالناس اذاً كلهم سواء من وجهة الفيلسوف . الانسان واحد من بلاد الزولو الى شطوط النروج ومن ثلوج أَلسكا الى اطراف اليابان . الناس كلهم سواء من حيث ان الامراض والجنون والتوحش كلها تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة و بدرجات متفاوتة . ولا يفوتنا ان نذكر مع هذه الضربات كلها نعمة واحدة شاملة . فانا ممن لا ييأسون ولا يقطعون الرجاء مهما توغل الانسان في الجهل والجنون والتوحش لانني على يقينٍ ان النفس في كلٍ منا تفيق ولو مرةً واحدة من سباتها في سياحتها هذه العالمية . تنهض النفس من غفلتها فتجيء ولو بعملٍ واحد شريف خالص لوجه الله . ترينا من الشهامة والمعروف والاحسان ما يزيل عن وجه الحياة شيئاً من تقطبهِ وعبوستهِ . تنهض النفس من ظلماتها من تحت اثقالها المادية من بين اغلالها الاجتماعيَّة من تحت اهوائها وشهواتها واغراضها الذميمة لتقول للناس : — انني لم ازل حيَّة واعرف معنى الحب والتساهل والحنان . انني لم ازل حيَّة واعرف معنى الحق والعدل والحرية . فيمكنني ان اتسامى الى ما فوق الشرف المتعارف بين الناس . الى ما فوق الفضيلة المصطلح عليها . الى ما فوق عدل القانون والشريعة . الى ما فوق قداسة الاديان وخزعبلات بدعها . اي لا بدَّ لكل امرئ من ساعة ولو في حياتهِ كلها يظهر فيها بمظهر الفضيلة الصادقة الفضيلة المجردة النامية الحقيقية . فيخضع للنفس الأَمَّارة بالخير لا بالسوء لتظهر فيهِ محاسنها الجليلة . ولذلك ينبغي ان نقول ان الامراض والجنون والتوحش وحسنات النفس او يقظاتها تنتاب كلاً منا على الاطلاق تنتاب كلاً منا في اوقات مختلفة كما قلت و بدرجات متفاوتة . ومن هذه الوجهة المرتفعة وجهة الفيلسوف العموميَّة كلنا لا شك متساوون اي اننا كلنا مرضى بنوع ما وكلنا نتخذ الاشغال نلهو بها . نسكّن بها آلامنا . نخدر بها همومنا . نضمد بها جروح صبرنا ورجائنا . ننعش بها آمالنا . وعند ما

يقف الواحد منا ليستنفس قليلاً ليتنشق نسيم السحر او الشفق او بالحري ليدع عملهُ هنيهة ويستريح تعاودهُ آلامهُ مضاعفة كما تعاود الاوجاع المريض عند انتهاء فعل المرفين وما هي هذه الآلام يا سادتي أروحانية هي ام جسمانية . فالطبيب يقول لنا انها جسمانية والكاهن يقول انها روحانية . والحقيقة في هذه المرة اقرب الى جانب الكاهن منها الى جانب الطبيب . آلامنا روحية اكثر منها جسدية . يعود الرجل من اشغالهِ في المساء او من ملاهيهِ بعد نصف الليل فيطرح نفسهُ على السرير متكرهًا متأففًا متذمرًا يطرح نفسهُ على السرير منهوك القوى شاكيًا من الم في اعصابهِ او في معدتهِ او في رأسهِ . ويظن ان اوجاعهُ موضعية يظنها جسدية والحقيقة على ما ارى هي خلاف ذلك . فالجسد لا يمرض من العمل واعضاؤُهُ تزداد قوة ومرونة ونشاطًا بالممارسة والتمرين وهذا ناموس طبيعي . من اين اذًا آلامنا واوجاعنا . ما هي اسبابها اين مصدرها . ايمكن ان يكون لها مسبب غير مادي . ايمكن ان تكون آلامنا الجسدية ناتجةً عن ألم اصلي اساسي جوهري روحي ؟ سؤَال أجيبكم عنهُ حالاً بلا تردُّدٍ وبالايجاب . نعم سادتي وسيداتي ان مصدر هذه الآلام الروح . فالروح منا تئن وتتأوَّه وصدى انينها يظهر في كل جوارحنا وفي كل حواسنا . الروح تتألم من الضغط عليها . من احتقار الانسان اياها من إهمالهِ شؤُونها . من اهتضامهِ حقوقها . الروح تتأوه من قيود السلطة كما انها تتألم من قيود العبودية . فالرئيس والمرؤُوس سواء من هذا القبيل الظالم والمظلوم يشكيان من مرض واحد فالروح في كلٍّ منهما تتألم من حيوانية الانسان من اهوائهِ من استئثارهِ من بغضهِ من توحشهِ من ذلهِ من جهلهِ من جنونهِ . فاذا كانت الاشغال تسكن آلام النفس فالعزلة تضعف شوكتها وتستأصلها

العود الى الطبيعة

وربَّ قائل يقول أتريد ان يكون الناس كلهم نساكًا وحُبساء وكيف يتسنَّى ذلك . فالجواب ان ذلك غير ممكن وغير مطلوب . فالعزلة انواع . وربما امتهنت حرمة القاموس وتوسعت قليلاً بمعناها المحدود . فقد تكون شوقًا في النفس لسبر غور النفس لادراك كنه قواها لكشف الحجاب عن بعض اسرارها وهذه هي عزلة الفيلسوف . او قد تكون اعتصام النفس بعالمي الخيال والجمال فرارًا من مسؤُولية الحياة الاجتماعية وواجباتها الصناعية . وهذه هي عزلة الشاعر وهي ممكنة في المدينة وبين الجموع كما في الصحراء او في الجبال لان الشاعر وان خالط الناس وحدثهم فهو دائمًا فوقهم وبعيد منهم . ثم قد تكون العزلة طمعًا في النفس لفتح ممالك عالم النفس لرفع اعلام الحقيقة والحب والحق فوق صروحها وهذه عزلة

الانبياء · وهناك انواع اخرى من العزلة لا يهمنا ذكرها لانها تغيرت عما كانت عليهِ حين قال المتنبي بيتهُ المشهور في وصف الاسد

في وحدة الرهبان الَّا انهُ   لا يعرف التحريم والتحليلا

قد اتضح لكم ان الميل الى الوحدة والاعتزال ينشأُ في النفس ومنها · فمثلما النفس تتطلب المعرفة فهي تبتغي شيئًا من العزلة لتتغذى اثناءها من المعرفة · يقول الافرنج في السياحة تكملة التهذيب · اي ان المرء مهما درس وطالع وتعمق في العلوم وتغلغل فيها فتهذيبهُ يظل ناقصًا اذا كان لا يعرف من العالم الَّا مسقط رأسهِ او عاصمة بلادهِ · فاذا كان في السياحة تتمة التهذيب ففي العزلة تتمة السياحة · لان المرء لا يكون قد ساح قط اذا كان لم يعتزل قليلاً بعد سياحتهِ في العالم ليحاسب نفسهُ ليفحص بتأنٍ وهدوء ما في مخادعها ليغربل ما فيها من الحقائق والخرافات والآراء السديدة المختلطة مع الخزعبلات · وبكلمة ليسقي النفس من ماء الفكرة الذي يتقطر ويتكرر في العزلة · ولا تظنوا ان كل من التجأ من المفكرين الى هذه الطريقة انتفع بها والذي لا ينتفع منها لا يستطيع نفع الناس

لما كنت في نويرك قصدت يومًا مدينة كنكرد بالقرب من بُسطن (وهي المدينة الصغيرة التي اعطت العالم الجديد اكبر شعرائهِ وفلاسفتهِ) لازور فيها بيت الفيلسوف إمرسن والحرج الذي بنى فيهِ الشاعر طورو بيتهُ او بالحري كوخهُ للعزلة فعاش فيهِ متنسكًا سنتين وألف هناك كتابهُ النفيس في فلسفة العمران وفلسفة الانفراد · والكاتب الذي كان رفيقي ودليلي في هذه الحجة — وهو شيخ جليل في الصحافة وفي السن — كان رفيقًا وصديقًا ايضًا لاكثر شعراء الكنكرد وفلاسفتها الغابرين فسألتهُ عما اذا كان في المدينة اليوم من يعدُّ من طبقة هؤلاء الرجال العظام فقال ان الطبيعة يا صديقي لا تجود علينا بالنوابغ كل سنة فهي لا تعطي العالم الَّا افرادًا قلائل كل جيلٍ وما كل من اعتصم بالعزلة يصل الى ذروة التفرد والذكاء فمنذ سنين جاء هذه الاصقاع شاب انكليزي واختار بيت طورو هذا مقرًّا لعزلتهِ وعاش فيهِ كما عاش طورو سنتين ولكنهُ يئس بعد ذلك وهجر كنكرد ومن ذلك الحين لم نسمع عنهُ شيئًا

فعزلة طورو اذًا او عزلة النابغة اثمرت من الادب والشعر والفلسفة ما يعد من طبقة ما كتبهُ اكبر نوابغ العالم وعزلة الثاني العقيمة اضرَّت بصاحبها لانهُ لم يتدارك الخطر قبل حلولهِ فكان يجب ان يعرف في الشهر الثاني من اعتزالهِ ان الوحدة الطويلة الامد ما عُدت لمثلهِ وان نفسهُ لا تتطلب مثل هذا الغذاء . ولذلك لا اعمم في قولي ولا اغالي بمحاسن

العزلة ومنافعها اذ ما كل من اعتزل تفرَّد ولا كل من تفرَّد افاد الانسانية . على ان العزلة تنفع الكل اذا اخذ كل منها بقدر ما تتطلبهُ نفسهُ او بالحري اذا عرف كل انسان كمية الجرعة التي ينبغي ان يأْخذها . فمن نفس متجمدة لا تطيق العزلة اكثر من اسبوع الى نفس متوقدة لا ترضى باقل من سنة او اكثر وبينهما تتفاوت المدد كما تتفاوت العقول . هذه هي القاعدة . فمن جرَّب العزلة بحكمةٍ واعتدال انتفع لا شك منها فهو ينتفع عقليًّا وجسديًّا وروحيًّا اذا احسن استعمال الدواء

وافضل ما في العزلة للمفكرين انها تقرب الفرد من نفسهِ . فالحياة الاجتماعية كما اتضح لكم مما ذكرتهُ تبعدنا عن انفسنا حتى نجهلها جهلاً فاضحًا . لان معرفة المرء نفسهُ غير ممكنةٍ في اي حال من احوال هذا المجتمع المضطرب . وان جهل المرء نفسهُ بعُد عنها بعدًا شاسعًا . وان حاول خدمة الانسانية وهو بعيد عن نفسهِ اي جاهلها لا يستطيع الى ذلك سبيلاً نوعيًّا نافعًا مهما اجاد ببيانهِ وفصاحتهِ . مهما بالغ في آرائهِ واكبر الناس دعواهُ . مهما صاح ونادى ودعى القوم وادَّعى . وان صياح المصلحين ليذكرني دائمًا بهدوء الفلاسفة بل يذكرني بما جاء في التلمود من حديث دار بين اشجار الغاب واشجار البستان . قالت اشجار الغاب لأشجار البستان . لماذا لا نسمع لاغصانك صوتًا ولا صدًى فاجابت اشجار البستان لانني مشتغلة عن الولولة بانماء ثماري . ثم سألت اشجار البستان اشجار الغاب قائلة . ولماذا نسمع لاغصانكِ هذا الدوي وهذه الجلبة فاجابت اشجار الغاب . لكي يشعر الناس بوجودي

لذلك قلت ان كان في الحركة بركة ففي الفلوات بركات وفي الهدو نمو وسمو . فالنور يا سادتي ينبثق على العالم هادئًا ساكنًا . وان شمس الحكمة لتحتجب غالبًا عند هبوب العواصف والزوابع . فمن الانفس السامية المنفردة الهادئة ينبثق نور الحب ونور الحكمة ونور الحقيقة . وفي الانفس السامية المتفردة الهادئة ينابيع الجمال كلها جمال الفنون وجمال الروح وجمال الحياة السعيدة . والى الانفس السامية المنفردة الهادئة تعود بنا حسنات التمدن الحديث لتربنا فيها اسبابها . لذلك كتبت فوق بابي

"في اصلاح الفرد إصلاح الامة وفي تهذيب الشعب اصلاح الرؤساء والحكَّام"

امين ريحاني

التعريب (١)

اكثر القائلون بتطبيق "سياسة الباب المفتوح" على اللغة العربية من ذكر جمود امتنا واشتغالها عن الجواهر بالاعراض ووقوفنا موقف المستضعفين امام الامم الغربية ونعوا علينا تحرُّجنا قبول الدخيل في لغتنا ورمونا " بالرجوع الى الوراء والنفور من كل جديد والوقوف عند حد ما أماتهُ الزمان ومخالفة سنة اللغات الحية صاحبة الحركة الدائمة التي قدر اهلها ان ينتفعوا بكل ما خلقهُ الله " الى آخر ما اتوا بهِ من القضايا الخطابية بقصد التأثير في افكار السامعين حتى تخيلوا ان الكلم الاعجمية واجبة الاستعمال في اللغة العربية حرصاً على الزمن ان يضيع في انتقاء الفاظ عربية تسد مسدها وان قواعد الاقتصاد السياسي تقضي بصرفهِ في اختراع آلة حربية او معمل صناعي او مصرف مالي . ولقد كدت من شدة التأثير امسك عن الكلام خيفة ان اضيع عليكم ساعة يمكنكم فيها اختراع بندقية جديد او آلة للطيران او علاج للسرطان

مسكينة الامة المستضعفة : لا تدري من اين تؤتى ولا تعرف لتأخرها علة فتذهب مع كل ذاهب وتمشي وراء كل حاطب

ظننا النيل سبب رخاوتنا فعدلنا عنهُ الى الآبار فما نشطنا . وخلنا الازياء الواسعة مانعتنا عن الحركة فاستبدلنا بها ازياء ضيقة فما عدونا . وحسبنا اتخاذ السيارات والدراجات يوصلنا الى المدنية فاقتعدنا وما استفدنا . وزعمنا ملاهي التمثيل اقرب سبيل فابعدتنا . وعددنا الفنازج (البالو) معارج فما عرجنا . وغيرنا العمائم بالقلانس والدور بالقصور وظهور الصافنات ببطون العربات فما اخرجنا كل ذلك عما نحن فيهِ من الاستضعاف ولا سما بنا الى مراقي الالمان والانكليز واليابان

ان لارتفاع الامم وانحطاطها اسباباً خاض فيها الحكماء وافاض في بيانها العلماء وليس المقام الآن مقام ذكرها وان المسألة التي نحن بصددها مسألة نقلية يرجع فيها الى كتب اللغة والادب وليس لاحد ان يأخذ فيها بالهوى او يسترسل مع الوجدان او يقتصر فيها على مجرد الاستقباح والاستحسان . فكما لا يجوز في التاريخ ان تنكروا غلبة اليابان للروس محتجين بان الصغير لا يغلب الكبير لا يجوز في العربية ان تنصبوا الفاعل وتقدموا خبر انَّ على اسمها

---

(١) خطبة القاضي الفاضل حفني بك ناصف رئيس نادي دار العلوم في مسألة التعريب

احتجاجاً بان المعنى لا يتغير . ولا ان تقولوا ما الفرق بيننا و بين العرب الاولى حتى جاز لهم وضع الفاظ مقتضبة وتعريب كلمات اعجميَّة والشذوذ عن القياس وامتنع علينا أليسوا رجالاً ونحن رجال

ليس لاحد ان يقول ذلك الاَّ اذا خرج من الربقة وخلع العذار ورضي بان يكون طلبقاً لا يتقيد بشيءٍ . المسألة منصوصة في الاسفار فمن شاء ان يخرق الاجماع ولا يقصر شبئاً على السماع و يستريح من عناء الدروس فليصنع ما شاء فليس عندنا ما يرغمهُ على اتباع الجماعة ولا فائدة في الجدال معهُ . واذا شاء ان يتبع المنصوص فها هو بيانهُ

اتفق العلماءُ على ان اللغة العربية كانت لسان عاد وثمود وأُميم وعَبِيل وطَسم وجَديس وَعِمليق وجُرْهُم ووبَار من اولاد إرَم بن سام

واول تنقيح دخلها كان بعمل يعرب بن قحطان رأس العرب العاربة وجرى اولادهُ على لغتهِ في انحاء اليمن كلها ثم تفرق جماعة منهم في نجد والحجاز وتهامة والشام والحيرة

ولما اصهر اسماعيل بن ابرهيم عليهما السلام الى قبيلة جرهم ادخل تنقيحاً ثانياً في اللغة وجرى على اثرهِ القبائل من اولادهِ كربيعة ومضر وكنانة ونزار وقيس وضبه

والتنقيح الثالث ادخلهُ قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام وتمكث بين ظهرانيهم نحو خمسين يوماً منها ثلاثة ايام بسوق ذي المجاز وسبعة بسوق مجنة وثلاثون بسوق عكاظ وعشرة في مناسك الحج

والتنقيح الرابع هو اختيار علماء المصرَين البصرة والكوفة (نقلة اللغة في عصر الامويين والعباسيين) فقد قصروا اختيارهم على ست قبائل من صميم العرب لم تختلط بغيرها وهم قيس عيلان واسد وهذيل و بعض تميم و بعض كنانة و بعض طي ولم يأخذوا عن لخم وجذام لمخالطتهم القبط اهل مصر . ولا عن قضاعة وغسان واياد لمخالطتهم اهل الشام والروم واكثرهم نصارى يقرأُون بالعبرانية . ولا عن تغلب لانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان . ولا عن بكر لمجاورتهم النبط والفرس . ولا عن عبد القيس وازدعمان لانهم كانوا بالبحرين مخالطين الهنديين والفرس . ولا عن اهل اليمن (حمير وهمدان وخولان والازد) لمخالطتهم الحبشة والزنج والهنديين . ولا عن بني حنيفة وسكان اليمامة وثقيف والطائف لمخالطتهم تجار اليمن عندهم . ولا عن حاضرة الحجاز وقت نقل اللغة لفساد لغتها بالاختلاط

وعدوا لغة قريش افصح اللغات العربية لانها خالية عن عنعنة تميم وهي ابدال الهمزة عيناً نحو عَنْتَ وعِنَّك اي انت وانك . وعن تلتلة بهراء وهي كسر اول المضارع نحو تِلْعب

وتِلهو . وعن كسكسة ربيعة ومضر وهي الحاق سين بعد كاف المخاطب نحو رايتكس . وعن كشكشة هوازن وهي الحاق شين بعد كاف المخاطبة نحو رأيتكش وعن فحفحة هذيل وهي قلب الحاء عينا نحو عتّى اي حتى . وعن وكم ربيعة وهي كسر كاف الخطاب بعد الياء الساكنة او الكسرة نحو عليكِم وبِكِم . وعن وهم بني كلب وهي كسر هاء الغيبة اذا لم يكن قبلها ياء ساكنة ولا كسرة نحو عنهِم وبينهِم وعن عجعجة قضاعة وهي قلب الياء الاخيرة جيماً نحو الساعج يدعج اي الساعي يدعي . وعن وَتَم اهل اليمن وهو قلب السين المتطرفة تاء نحو النات اي الناس . وعن الاستنطاء في لغة سعد والازد وقيس وهو قلب العين الساكنة نوناً قبل الطاء نحو انطى اي اعطى . وعن شنشنة اليمن وهي قلب الكاف شيناً نحو لبيش اللهمّ لبيش . وعن خلخانية الشحر وعمان وهي حذف الالف في نحو مشاءالله اي ما شاء . وعن طمطمانية حمير وهي جعل أَل "ام" نحو طاب امهواء اي الهواء وعن غمغمة قضاعة وهي اخفاء الحروف عند الكلام فلا تكاد تظهر

ولم ينظر نقلة اللغة الى لغة كل قبيلة على حدتها بل جمعوا الالفاظ التي يتكلم بها كل القبائل التي عولوا على الاخذ عنها وجعلوها لغة واحدة مقابل اللغة الاعجمية لا يخطئ المتكلم الاَّ اذا خرج عنها كلها فلفظ المدية لغة دوس بطن من الازد ولفظ السكين لغة قريش فنقل الائمة اللفظين واباحوا لكل انسان ان يتكلم بايهما شاء ولو لم يوجد في العرب من تكلم بهما معاً ومن هنا جاء الترادف في اللغة والاشتراك اللفظي ولو جمعوا لغة كل حي من العرب على حدتها لتكرر العمل وطال الزمن

ثم نظروا بعد ذلك الى المفردات فما كان منها كثير الدوران على السنة العرب عدوهُ فصيحاً وما كان قليل الدوران على السنتهم عدوهُ غريباً ووحشياً يعدّ استعمالهُ مخلاً بالفصاحة ولو كان معروفاً عند المخاطبين

واستخرجوا من استعمالات العرب قواعد تتعلق باحوال اواخر الكلم وقواعد تتعلق بباقي احوالها وسموها علم النحو والصرف وجعلوا لبعض تلك القواعد قيوداً واستثناءات حتى يكون الاستعمال الكثير مضبوطاً بقوانين تحتذى عند القياس وما شذ عن ذلك جعلوهُ سماعياً يقبل من العرب ولا يقبل من المولد

وكانوا شديدي الحرص على بيان السماعي والقياسي فاذا لم يكن اللفظ (مادة او هيئة) قد سمع من العرب منعوهُ بتاتاً وشنعوا على مستعمله

ولاجل ان يعرف السامع مقدار عنايتهم بالمسموع من العرب ومقدار الانحطاط الذي

كان يلحق بمن يخطئُ منهم اروي لك قصة وفود سيبويه على يحيي بن خالد البرمكي ببغداد لقد عقد يحيي مجلساً جمع فيهِ بين سيبويه رئيس نحاة البصرة وبين علي الكسائي رئيس نحاة الكوفة فقال لهُ الكسائي تسألني او اسألك فقال سيبويه سل انت فسألهُ الكسائي عن قول العرب "قد كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي" ايجوز فاذا هو اياها. فقال سيبويه لا يجوز النصب فقال الكسائي العرب ترفع ذلك وتنصبهُ فقال يحيى لقد اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما فقال لهُ الكسائي هذه العرب ببابك قد سمع منهم اهل البلدين فيحضرون ويسألون. فقال يحيي وجعفر انصفت وامرا باحضار اعرابي من اهل البادية وسألوهُ فقال "القول قول الكسائي" فقال سيبويه ليحيي مرهُ ان ينطق بذلك فان لسانهُ لا يطاوعهُ فاكتفى المجلس بحكم الاعرابي وخجل سيبويه وسافر بعد ذلك الى فارس فاقام بها حتى مات وكانت هذه المسألة سبب علتهِ وكانت وفاتهُ في سنة ١٨٠ وعمرهُ ٣٢ وهكذا كانت عادة علماء البلدين متى اختلفوا في امر تلمسوهُ عند البدو وتسمعوهُ منهم

وعرَّفوا المعرَّب بانهُ الاسم الاعجمي الذي فاهت بهِ العرب الموثوق بعربيتهم فاذا فاه بهِ غير العربي سمي مولداً وقد تبعهم في ذلك كل من كتب في اللغة كاصحاب الصحاح والقاموس والمحكم والعباب. واجمع العلماء على ان لا يستشهد في اللغة والصرف والنحو الاَّ بكلام العرب ولا يجوز الاستشهاد بكلام المولدين الاَّ في علوم البلاغة

واجازوا استعمال الكلم في غير ما وضعت لهُ متى وجدت مناسبة بين المعنى الاصلي والمعنى المراد وقامت قرينة تمنع ارادة المعنى الاصلي وحصروا تلك المناسبات بالاستقراء وسموها علاقات وهي

المشابهة — نحو فاه الخطيب بالدرر اي الكلمات الحسان
والسببية — نحو رعينا الغيث اي الكلأ
والمسببية — نحو امطرت السماء نباتاً اي ماء
والكلية — نحو يجعلون اصابعهم في آذانهم
والجزئية — نحو بث الامير العيون اي الجواسيس
والحالية — نحو ففي رحمة الله هم فيها خالدون اي الجنة
والمحلية — نحو سال الوادي وجرى الميزاب اي ماؤُهُ
واللازمية — كاطلاق الحرارة على النار
والملزومية — نحو دخلت الشمس من الكوة اي ضوءها

والاطلاق — نحو لا صلاة لجار المسجد الاَّ في المسجد اي لا صلاة كاملة

والتقييد — كاطلاق المشفر على شفة الانسان والمشفر للبعير كالشفة للانسان

والعموم — كاطلاق الابيض والاسمر على السيف والرمح والدابة على ذات الاربع

والخصوص - كاطلاق اسم الشخص على القبيلة نحو تميم وقريش وربيعة

والبدلية — نحو في ملك فلان الف دينار اي متاع يساوي الفاً

والمبدلية — نحو اكلت دماً ان لم ارعك بضرة اي اكلت دية

واعتبار ما كان — نحو وآتوا اليتامى اموالهم اي الذين كانوا يتامى

واعتبار ما يكون — نحو اراني اعصر خمراً اي عنباً

والدالية — نحو فهمت الكتاب اي معناهُ

والمدلولية — نحو قرأت معناهُ مشفوعاً بتقبيل اي قرأت لفظهُ

والمجاورة — نحو شربت من الراوية اي المزادة المجاورة للجمل وقد تكون المجاورة في الذكر فقط كما في المشاكلة نحو: اطبخوا لي جبةً وقميصاً

والآلية — نحو واجعل لي لسان صدق اي ذكرًا حسناً صادقاً

والتعلق — كاطلاق لفظ المصدر على الفاعل او المفعول كشاهد عدل وهذا خلق الله

والشرطية — نحو وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم

والمصدرية — نحو فرجعوا الى انفسهم اي آرائهم

والمظهرية — نحو يد الله فوق ايديهم اي قدرته

والتضاد — كاطلاق البصير على الاعمى

ومتى اشتهر اللفظ في معناهُ المجازي صار حقيقة عرفية لهُ حكم الحقيقة الوضعية

وقد صارت اللغة بهذا التنقيح الاخير لغة العرب عامة لا لغة قبيلة بعينها فأي لفظ نطقت بهِ فانت مصيب واي استعمال جريت عليهِ فلست بمخطىء ما دمت لم تخرج عن المنقول واية علاقة صادفتك من العلاقات السالفة الذكر توصلك الى تسمية ما لم تسمه العرب فلست مقيدًا بلفظ اعجمي ولا بلهجة حي معين وصرت بذلك بعيداً عن الخطاء واسع المجال في النثر والنظم والتقلب في الاساليب الانشائية تصول وتجول وتتهم وتنجد حسبما يسمو اليهِ استعدادك وتصل اليهِ درجتك من الاطلاع وتمكنك منهُ بضاعتك فلك ان تقول المدية كما تقول دوس وان تقول السكين كما تقول قريش وان تنطق كلمة "حيث" بتسع لغات ولفظ "يا ربي" بست لغات وتركيب «باديء بدء» بثمانية عشر وجهاً وان ترفع

الخبر وتنصبهُ في نحو ما هذا بشرًا وان نطلق الاسد على السبع والشجاع والعين على الباصرة والذهب والجاسوس وتصرّح وتعمّي حيث تحتاج لذلك وتنقل الى العربية كل ما فهمتهُ من اللغات الاخرى

وقد وقع جاسوس عربي في يد العدوّ فحبسوهُ والزموهُ ان يكتب كتابًا الى ملكهِ يحملهُ فيهِ على مداهمتهم ويوهمهُ بقلة عددهم وعُددهم غشًّا وتغريرًا فكتب الى الملك كتابًا قال فيهِ :

اما بعد فقد احطت علمًا بالقوم . واصبحت مستريحًا من السعي في تعرف احوالهم . واني قد استضعفتهم بالنسبة اليكم وقد كنت اعهد في اخلاق الملك المهلة بالامور والنظر في العاقبة فقد تحققت انكم الفئة الغالبة باذن الله · ولقد رأيت من احوال القوم ما يطيب بهِ قلب الملك نصحت فدع ريبك ودع مهلك والسلام

وسلم الكتاب الى العدو فارسلوهُ الى الملك بعد ما اطلعوا عليهِ فتفطن الملك لما اراد الكاتب وقال لحاشيتهِ ان الجاسوس وقع في الاسر فاصبح مستريحًا من السعي وانهُ رآهم اضعافنا واننا قليل بالنسبة لهم اذ لمح بآية (كم من فئة قليلة) ولفتني الى الاناة اذ جعلها عادة لي واراد قلب حروف الجملة الاخيرة فتكون (كلهم عدوٌّ كبيرُ عددٍ فتحصن)

على هذا استقرت اللغة العربية وتم احكامها وحصرت مفرداتها الاصلية وقوانينها وابيح استعمال مفرداتها في غير ما وضعت لهُ عند الاحتياج بشرط العلاقة والقرينة وانتهت ادوار التنقيح فيها فلم يبقَ الاَّ استظهارها والعمل بها · وقد اغتبطت الامة العربية بذلك وعكفت على العمل بهِ قرونًا قضت فيها لبانة العلم والسياسة وتفرغت للفتوح والاستعمار وملأت طباق الارض بالتصانيف في الشرائع والحكمة وكل ما كان على وجه الارض من العلوم فانارت الخافقين ونشرت المدنية في الدنيا · ولما ضعف امرهم ورثهم الغربيون في حكمتهم واخذوها عنهم واضافوا اليها ما تجدد من الصناعات والفنون ولا يزال الافرنج يدأبون في اقتناء الكتب العربية ويستخرجون منها من الفوائد ما لم يكن في حسباننا ولكل مجتهد نصيب

هذا ما حضرني من النصوص المحتوية عليها كتب العرب · المتضافر عليها من أئمة الادب فمن شاء فليؤمن بها ومن شاء فليكفر بها فقد تبين الرشد من الغي

ولما قعدت همم الخالفين وانتشر فساد اللغة مادة وقوانين رأى فريق من الناس ان يكفونا مؤنة التحصيل فهبوا الى فتح ثغور اللغة العربية للدخيل من الالفاظ وطفقوا يحسنون صنيعهم بأقيسة خطابية وجدلية لا تغني من الحق شيئًا

فقالوا اولاً : ان العرب اخذوا الفاظاً من الاعاجم في اطوار تنقيح العربية واستعملها الفصحاء وورد منها كثير في القرآن والاحاديث فما لنا لا ننشىء مذهباً خامساً في التنقيح وفاتهم ان ما اخذهُ العرب قليل جداً بالنسبة الى ما نبذوهُ ونادر بالاضافة الى مادة لغتهم الاصلية والقليل النادر لا يقاس عليهِ فاذا فتحنا اليوم باب القياس في مادة اللغة نفتحهُ غداً بالاولى في هيئتها اي في الصرف والنحو فنقيس على ما ورد شذوذاً عن العرب اذ ليست المادة باقل خطورة من الهيئة ولا الجوهر بادنى احتراماً من العرض فننصب خبر المبتدا وخبر انَّ ونشتق من الجوامد كلها ونميل الالف حيثما وجدت ونستخرج من كل فعل ثلاثي مزيدات ونستعمل الزيادة لكل المعاني وبالجملة نجعل عالي اللغة العربية سافلها ونحدث فيها الاحداث الهائلة فتتبلبل فيها الالسنة وتفقد بعد قليل من الزمن مع ان « اصحاب اللغات الحية » الذين يريدون ان يتشبهوا بهم لم يرضوا ان يتركوا عاداتهم من الكلام والكتابة ولو كانت خطأً فلا يزالون يقولون في ٧٥ ستون وخمسة عشر وفي ٩٨ اربع عشرينات وثمانية عشر ولا يزالون يكتبون جملة حروف في الكلمة لا ينطق بشيء منها ويفوهون بحروف لا يكتب منها شيء

وقالوا ثانياً : انهُ يجب ان يكون لكل مدلول دالٌّ خاص بهِ لا يدل على غيرهِ ابداً وتكون دلالتهُ بنفسهِ لا بعلاقة اخرى وان تسمية المحدثات بلفظ عربي مهما كانت علاقتهُ يوقع في الاشتراك ويزيدنا آلاماً الى آلامنا : وغرضهم بذلك منع الاشتراك اللفظي بالمرة او عدم زيادتهِ وفاتهم ان الاشتراك اللفظي واقع لا محالة في جميع اللغات لان الفاظ كل لغة محصورة والمعاني غير محصورة فلو وزعت الالفاظ على المعاني وجب المصير الى الاشتراك حتماً وانهُ لا ضرر من استعمالهِ مع القرينة . ففي الهندسة مثلاً تستعمل الزاوية والعمود والسطح والهرم والكرة والضلع ولا يخطر في البال شيء من معانيها القديمة . وفي الطبيعة والكيميا تستعمل العدسة والملح والبلورات ولا تحس باصل معناها . وفي القوانين تستعمل وضع اليد وسحب الورقة وحبس العين والقذف والضبط والربط ولا يجيء في الخاطر معناهُ الاصلي والذي يسمع جملة « سيارة الامير سبقت القطار » لا يتوهم القافلة ولا الجمال فاين هي الآلام التي تخشون من زيادتها ؟ ومن منكم يمكنهُ ان يتكلم كلاماً خالياً من المشترك والمجاز ؟ انا اراهنكم على كتابة عشرة اسطر باي لغة شئتم في وصف حادثة من الحوادث ذات البال فمن قدر على اخلائها من المجاز والمشترك فلهُ مني عشرة دنانير وامهلكم شهراً والحقيقة ان هذه الآلام آلام وهمية توجد عند من يريد ان يتألم منها

وقالوا ثالثاً : ان دلالة الكلم الاعجمية اصرح لانها تدل على صنف مخصوص بخلاف

الكلم العربية فانها في الغالب تكون عامة : وفاتهم ان الاصطلاح يجعل العام خاصًّا والمطلق مقيدًا فالنسافة والبارجة والدارعة والمنطاد لا عموم فيها بعد الاصطلاح عليها وغلبة الاسمية على الوصفية معروفة في اللغات قديمًا وحديثًا فيقولون في السيف ابيض ومرهف وهندي ويماني وفي الرمح اسمر ولدن وسمهري وردبني وكلها اوصاف غلبت عليها الاسمية

وقالوا رابعًا : ان التعريب اسهل من انتقاء اللفظ العربي واستعمال الاعجمي اخف على السمع فاذا قلت للبدال « اعطني قدحًا من الجعة » اشمأز منك وسخر السامعون بخلاف « البيرا » : وفاتهم ان هذه الصعوبة تزول بعد الاهتداء الى الكلمة العربية والاصطلاح عليها والالحاح في استعمالها لفظًا وكتابة على ان هذه الصعوبة انما تكون على الاشخاص الكلفين باستخراج الكلم بخلاف الذين يتعلمونها جديدًا فانهم يجدونها بدون عناء كالذي يلبس الثوب لا يحس بعناء حائكهِ وخائطهِ وقارىء الصحيفة لا يحس بعناء محررها وجامع حروفها وطابعها . ولا بد من قوم يعانون الاعمال وآخرون ينتفعون بها ونحن لا نكلف افراد الامة بالاشتغال معنا في انتقاء الالفاظ بل يكفي ان يتعب منا فريق في هذا الامر مقابل تعب الآخرين في اعمال اخرى على قاعدة التبادل المدني . اما استهزاء العامة فلا يعوقنا عن العمل لانا لا نعمل لهم بل للخاصة والنشء الجديد الذين يتعلمون في المدارس . وخالي الذهن يحفظ ما يلقى اليهِ سواء كان اللفظ الذي يحفظهُ عربيًا او اعجميًا . واني اذكركم اننا كنا نستعمل كلمة قومسيون وقومبنية وجورنال وغازيته وافوكاتو وكوليرا ووابور وقنصل جنرال ولما ابتدأ الصحافيون يغيرونها بلجنة وصحيفة ومحام ووباء وقطار ومعتمد كنا نتقززها فلما الحوا في استعمالها زال التقزز شيئًا فشيئًا حتى عفنا الكلمات الاولى فجازاهم الله عن العربية خيرًا . فلمَ لا يعمل المحدثون من الصحافيين مثل ما عمل الاقدمون ؟ ولماذا لا يحذو مترجمو اليوم حذو مترجمي امس ؟ ولمَ لا نساعد هؤلاء وهؤلاء على اداء ذلك الواجب ؟

وقالوا خامسًا : ليس لنا ان نتمسك بالقديم لمجرد قدمهِ : فنقول لهم وليس لنا ان ننبذ القديم لمجرد قدمهِ فما كل قديم ينبذ ولا كل جديد يؤخذ والواجب على من رأى المصلحة في القديم ان لا يتركهُ ما لم تقم الادلة على اصلحية الجديد وقد جربنا القديم مئات من السنين فقام بالكفاية ولم نرَ للآن منفعة في الالفاظ الجديدة بل الضرر محقق لانا لو فتحنا الباب لدخول الجديد لاستعجم على الخالفين فهم كل المؤلفات منذ الف سنة الى الآن وانقطع الاتصال بين السابق واللاحق وضاع على المتأخرين تراث اسلافهم المتقدمين

وبعد فاني لم افهم للآن وجهاً للتشبث بحب الاعجمي فاما ان نكون مصابين بمرض الشعوبية وهو تفضيل العجم على العرب واما ان نكون لاستضعافنا مقلدين الغالب كما قال ابن خلدون . واما ان يكون في طباعنا اخلاد الى الراحة والسكون فلا نريد ان نعاني اعمالاً جديدة لم نتعودها فتخدعنا هذه الطباع الى تحسين ما نحن عليهِ ونقول بالتعريب لاننا يمكننا ان نعرب كل يوم الف كلمة ولا نجد في الشهر عشرين كلمة عربية فيقرر كل منا ان ما وصل اليهِ هو منتهى الكمال وان ما يزيد عن ذلك يحسب من التقعر والتفهيق ولا يريد ان يعترف بكمال بعد الحد الذي وقف عندهُ فيسجل على نفسهِ النقص . ان لم يكن هذا ولا ذاك فما سبب هذا التشبث يا ترى ؟ لقد وعيت كل ما سبق من الادلة فلم اجد فيها برهاناً فلعل جمود قريحتي ضرب بيني وبين الحقيقة حجاباً مستوراً

وقد نشأ من التساهل في حياطة اللسان العربي ان تطرق الفساد الى مادتهِ وهيئتهِ وتولد عنهُ لسان آخر لا هو بالعربي ولا هو بالاعجمي وسماهُ الناس باللغة العامية او الدارجة وهو المستعمل لهذا العهد في مصر والشام والعراق وجزيرة العرب والمغرب والسودان لا يتكلمون بغيرهِ وان كانوا لا يزالون يكتبون بالعربية الفصحى او ما يقرب منها

وترى الطفل يتعلم العامية في اقل من خمس سنين ولا يتعلم الفصحى في اقل من عشر والسبب في ذلك ظاهر وهو انهُ في اول امرهِ لا يسمع غير العامية ولا يتكلم بغيرها فهو اينما سار وحيثما ذهب مشتغل بها فترسخ في ذهنهِ رسوخ الفرنسية في اذهان اطفال الفرنسيس والانكليزية في اذهان اطفال الانكليز وليس الحال كذلك في ابان تعلمهِ لغة الكتابة . ولو فرضنا صبياً نشأ في بلد يتكلم اهلهُ بالعربية الفصحى بالسليقة وبعد سن مخصوص يتعلمون العامية ويستعملونها في الكتابة فقط لا نعكس معهُ الحال وتعلم الفصحى في اقل من خمس سنين ولم يتعلم العامية في اقل من عشر . فليس في طبيعة اللسان العربي الصحيح شيء من الصعوبة وانما هي طريقة التلقين وبيئة التعليم

وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة كان يغني عنها خمس لو اقتصر المتعلم على احداهما ويضيع على كل متعلم عشر سنين من عمرهِ فاذا تحققت الآمال وصار التعليم اجبارياً فكم تخسر الامة كل سنة من اعمار افرادها ؟ . فاذا اخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو ٤٧٠٠٠٠ وطرحنا منهُ معدل وفيات الاطفال الى سن العشرة (ونفرض انهُ النصف) ٢٣٥٠٠٠ يكون عدد الباقين ٢٣٥ ٠٠٠ نضربهُ في عشرة اعوام وهي مقدار ما يخسر كل واحد فتكون النتيجة ان الامة تخسر في كل عام

عمل شخص واحد في ٢ ٣٥٠ ٠٠٠ سنة وبعبارة اخرى يفوتها ريع زراعة ١ ٢٧٥ ٠٠٠ ندان على فرض ان الفدان يزرعهُ اثنان وهي خسارة لا يحسن السكوت عليها . فيا ضيعة الاعمار تمشي سبهللا

وقد استنكر الصبر على هذه الخسارة جماعة من الاقتصاديين فاتفقوا على وجوب الاقتصار على تعلم احدى اللغتين واختلفوا في تعيينها فقال فريق منهم يقتصر على العامية ومنهم المهندس الشهير ويلككس والقاضي الكبير ويلمور . وقال الفريق الآخر ومنهم العالم الشهير والمربي الكبير يعقوب ارتين باشا بالاقتصار على الفصحى

واورد على الاول —(١) ان لكل قطر عامية مخصوصة بل لكل مديرية لهجة معينة فاذا رجحنا لغة اقليم تحكمًا منا نكون قد الزمنا سكان الاقاليم الاخرى بتعليم لغة ذلك الاقليم وعناؤُهم في ذلك لا ينقص عن عناء تعلم العربية الفصحى بل الفصحى اسهل لان كل شيء فيها قد ضبط ونقح ووضعت لهُ كتب متعددة . (٢) وان العامية في البلد الواحد تتبدل بتبدل العصور فلكل زمان الفاظ تدخل مع اصحاب القوة ولذلك نرى في لغة مصر مفردات من الرومية والكردية والتركية والشركسية والفرنسية والانكليزية . (٣) وان التزام العامية يحدث حجابًا كثيفًا دون الاستنباط من القرآن والحديث والمأثور من كلام السلف فتذهب اعمال الاولين هباء وتقع الخسارة على المسلمين وغيرهم ممن يستخرجون كنوز العلوم من بطون الكتب العربية القديمة ولولا كتب العرب ما اشرق على اوربا ذلك النور الساطع وبالجملة تنقطع الصلة بين الازمنة والامكنة العربية ويحرم ابن هذا الزمان من ثمار افكار السابقين وقاطن هذا المكان من تبادل آراء المعاصرين من ابناء اللغة الواحدة فلا جرم كان من المتعين نبذ الرأي الويلككسي والاخذ بالمذهب الارتيني

وخلاصة هذا المذهب ان تترك العامة يتكلمون بما يريدون وتدرب التلاميذ في المدارس على التكلم بالفصحى ويحبب اليهم التحاور بها كلما اجتمع لفيف منهم حتى ترسخ فيهم ملكتها وتألف السنتهم دربتها ويكون اخذهم بالتمرين تدريجيًا يطبقون على ما عرفوهُ ويكملون محاورتهم بالعامية في ما لم يعرفوهُ وكلما زادت درجتهم في التعليم زادت قوتهم في التطبيق الى ان تهجر العامية وتحل الفصحى محلها

فاذا ضم الى ذلك مطالعة الصحف والمجلات العربية وسماع الخطب العلمية في الاندية العربية والتردد على معاهد العظات ومشاهد التمثيلات ومواقف المرافعات وتعليم الفتيات واحتذاء اساليب المنشئين وطبع كتب المبرزين فان اللغة العامية تنقرض في اقل من عشرين عامًا

وتخلفها اللغة الصحيحة ويرجع اللسان العربي الى عصر مجدهِ وايام سعدهِ

ولقد هم ذلك المربي الكبير منذ عشرين سنة بالزام تلاميذ المدارس بالتكلم بالعربية الفصحى ما داموا تحت نظر معلميهم واخذ يعد لهذا الامر عدتهُ وعتادهُ وسألني رأيي في ذلك وكنت معلماً في مدرسة الحقوق فقلت لهُ ان الامر ميسور والخطب سهل فطلب اليَّ تجربة ذلك قبل ان يصدر الاوامر فقلت نعم وكرامة ولم يمضِ شهر حتى دعوتهُ لشهود التجربة مع من شاء من المفتشين فاسفرت التجربة عن نجاح باهر وارتقاء ظاهر فصمم على امضاء عزيمتهِ لولا احتجاج فريق من المعلمين بل نفر من العاجزين بان التطبيق متعذر قبل حفظ اللغة واتمام القواعد ولولا التوكؤ على هذه المغالطة لكانت العامية الآن في خبر كاد ان لم تكن في خبر كان

والذي يسمع كلام الباحثين الاصليين والمنتصرين لهما يخال ان بين الفريقين حرباً عواناً وخلافاً ما بعدهُ اتفاق . ومنشأ هذا الافتراق الذي حمي وطيسهُ واحتدم اوارهُ ان ادلة الفريق الاول تنتج اكثر من المدعى ويجر التسليم بها الى اذهاب اللغة العربية والاتيان بخلق جديد ولولا ذلك لكان الخلاف نظريًّا لا يترتب عليهِ اثر ويتضح ذلك اذا حدَّدنا موضع النزاع وحصرناهُ في الدائرة التي يجب حصرهُ فيها . واحسن طريق للتحديد سرد مواطن الوفاق حتى نتحاماها اذا التقى الجمعان واليكم البيان

(١) نقسم اولاً اللغة العربيَّة الى لغتين لغة عامية ولغة فصحى فالعامية لا يمكن ان تكون محل نزاع لان الباحث الاول يقول بصقل اللفظ الاعجمي ووضعهِ في القوالب العربية والثاني يقول بعدم الخروج عما ورد فمحل النزاع اذًا اللغة الفصحى

(٢) ثم نقسم اللغة الفصحى الى اجزائها : حرف وفعل واسم . فالحرف لا يمكن ان يكون محل النزاع لان ما وجد منهُ كاف بحاجة اللغة فلا ضرورة لزيادة نحو يس . ونو . واند . لوجود نعم . ولا . وحرف العطف

والفعل كذلك غير محتاج للمزيد فلا باعث لزيادة نحو "جون" و"كم" لوجود ما يماثلها في العربية . وقد وقع في كلام الباحث الاول ما يفهم منهُ رغبتهُ في زيادة افعال تشتق من الاسماء الاعجمية كأترم وتمبل وامبس ولعل ذلك فرط منهُ اثناء احتدام الجدال والاَّ فما وجه تفضيل الاعجمي على العربي ولم يقل احد بجواز ابغل واحمر وافرس والبغل والحمار والفرس اعرق في العربية من الترام اللهمَّ الاَّ ان يكون وجه التفضيل شدة السرعة وعندنا قاعدة مذهبة نبني عليها وهي انهُ لا يصار الى التعريب الاَّ اذا الجأت الحاجة اليهِ

ولا حاجة الى اترم كما لا حاجة الى ابغل لامكان التعبير بركب الترام لو سلمنا بقبول كلمة ترام فمحل النزاع اذًا الاسم

(٣) ثم نقسم الاسم الى ما ينوب عن الفعل كشتان ووي وصه والى ما لا ينوب عن الفعل · والاول كالفعل لا حاجة الى الزيادة فيهِ · فمحل النزاع اذًا الثاني

(٤) ثم نقسم ما لا ينوب عن الفعل الى مشتق وجامد · فالمشتقات في العربية كافية وهي اصرح من نظائرها في اللغات الاخرى · فالنزاع في الجامد

(٥) ثم نقسم الجامد الى اسم معني واسم ذات · فاسماء المعاني كثيرة جدًّا في العربية حتى عدها الباحث الاول ثروة واسعة · فالنزاع في اسم الذات

(٦) ثم نقسم اسم الذات الى ما وضع لمعين بلا واسطة وهو العلمَ · والى ما وضع لمعين بواسطة ملازمة وهو الضمير واسم الاشارة والاسم الموصول · والى ما وضع لغير معين وهو اسم الجنس

فالعلم يشمل اسامي الاناسي والبلاد والجبال والانهار والبحار والامم والاقاليم وما لهُ شأن خاص من غيرها · والاتفاق على انها لا تخص لغة معينة الاَّ باعتبار معناها الاصلي قبل العلمية وانها تبقى على ما وضعهُ لها واضعها الاَّ لضرورة

والضرورة اما ان تكون بوجود حروف اعجمية لا نظير لها في العربية كالحرف p الذي بين الباء والفاء مثل پاريس والحرف v الذي بين الفاء والواو مثل ڤينا والحرف g الذي بين الجيم والقاف والكاف والعين مثل انكلترا وبعبارة اخرى كجيم القاهرة او قاف الصعيد وهي قاف تميم · والحرف j الذي بين الجيم العربية والياء وبعبارة اخرى كجيم المغاربة مثل جابون والحرف الالماني ch الذي بين الخاء والشين مثل منخن او منشن فيبدل الحرف الاعجمي بحرف يقاربهُ

واما ان تكون بوجود حركات اعجميَّة لا نظير لها في العربيَّة كالحركة o التي بين الفتحة والضمة مثل رَُوم كما تقول اهل القاهرة خوخ والحركة u التي بين الضمة والكسرة عند الفرنسيس مثل دا ِنُوب فتبدل بحركة عربية تقاربها اما الحركة e التي بين الفتحة والكسرة فلها نظير في العربية في لغة نجد وقيس واسد كما نسمع من القراء فتبقى كما هي او تبدل بفتحة خالصة والمد بعدها بالف خالصة

واما باشتمال العلم على ما لا تجيزهُ اصول العربية كالابتداء بساكن وكالانتهاء بواو ساكنة قبلها ضمة وكالانتهاء بواو او ياء بعد حرف مد فيحرك الساكن او يتوصل اليهِ بهمزة

وصل ويحرك احد الساكنين وتقلب الواو الساكنة ياءً والضمة قبلها كسرة اوتحذف وتقلب الواو او الياء المتطرفة بعد مدة همزة. وهذا التغيير هو الذي يسمى صقلاً اووضعاً في القوالب العربية. فالعلمَ موضع اتفاق بين الباحثين ايضاً

والضمائر واسماء الاشارات والاسماء الموصولة كافية بل فيها زيادة عن نظائرها في اللغات الاخرى فلا حاجة للزيادة فيها وانما النزاع في اسم الجنس كما صرح الباحث الاول مرارًا

(٧) ثم نقسم اسم الجنس الى ما استعملت لهُ العرب لفظاً سواءٌ وضعتهُ لهُ من عندها او عربتهُ من لغة غيرها والى ما لم تستعمل لهُ لفظاً والاول يقبل ولا ينظر الى اصل اللفظ قبل التعريب لان التعريب جعلهُ في حكم العربي فليس موضع نزاع كالدرهم والدينار والمشكاة والسفتجة والسردار وانما النزاع فيما لم تستعمل لهُ العرب لفظاً

(٨) ثم نقسم ما لم تستعمل لهُ العرب لفظاً الى ما اصطلح المولدون على اطلاق لفظ عربي عليهِ بأي مناسبة كانت كنسافة وغواصة ودارعة وقطار ولا خلاف بين الباحثين في قبولهِ. والى ما لم يصطلحوا على اطلاق لفظ عليهِ للآن ولا خلاف بين الباحثين في انهُ يجب البحث والتنقيب في كتب اللغة عن لفظ عربي يمكن اطلاقهُ عليهِ بأي مناسبة من المناسبات الجائزة في اللغة العربية ويصطلح على دلالتهِ عليهِ كما اصطلح من قبلنا على لفظ نسافة وغواصة

ولم يقل احد منهما بتعطيل حركات الخطابة والكتابة ودواوين الانشاء وصحف الاخبار في مدة البحث والتنقيب بل لا بد من ملء الفراغ بلفظ اعجمي واستعمالهِ موقتاً للضرورة كما يفعل الطالب الذي ينتقل بالتعليم تدريجاً من لغة العامة الى اللغة الفصحى

فاذا انقضى دور البحث ولم يعثر على كلمة عربية يمكن الاصطلاح عليها وهو ما لا يكون الاَّ نادرًا تصقل الكلمة وتستعمل وحينئذٍ يراها الباحث الاول بالمنظار الذي يرى بهِ المعربات التي صقلتها العرب ويقول قد احتطت وما فرطت فرحباً بالدخيل العتيد. وبعداً للاصيل الشريد. ومالي اشغل آمالي بنشد ضالة ان جاءت فلا كرامة وان ذهبت فلا شيعتها غمامة. ويراها الباحث الثاني بمنظار آخر غير ما يرى بهِ المعربات فيحسبها كالرقعة في الثوب والحصاة بين الدر ويقول للضرورة احكام. وحبذا لو صحت الاحلام. ووجدت طلبتي في يوم من الايام

هذا هو الخلاف الطويل العريض ضيَّق البحث حلقاتهِ رويداً حتى تضاءل وانتهى الى تقدير النظر الى الكلمة المجتلبة واستقبالها اما بالترحيب. واما بالتقطيب. وهو خلاف غريب

حفني ناصف

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انّ الغرض من المناظرة التوصلُ الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

هل المريخ مسكون

طالعتُ ما كتبهُ احد القراء وتأسفت لانهُ استنتج ما استنتج دون امعان الروية بالمقدمات التي سبقت ذلك الاستنتاج . ولقد حلَّلتُ ما كتب فوجدتهُ يتضمن ثلاث نقط رئيسية : —

(١) " ان عالماً آخر يفوق لول شهرةً كما يفوقهُ سنًّا وخبرة وهو الدكتور الفرد رسل ولس اقام الادلة على انهُ لا يوجد جرم مأهول او يمكن ان يكون مأهولاً غير الكرة الارضية من كل السيارات التي تدور حول الشمس "

(٢) الاستشهاد بكتابات المقتطف

(٣) " ان الخطوط التي شوهدت على سطح المريخ واستدلَّ منها الاستاذ لول على وجود السكان فيهِ يمكن ان تكون من جملة الحوادث الطبيعيَّة التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا "

وعليَّ الآن ان اجيب على كل منها متحرياً البساطة والاختصار مجتنباً التطويل المملَّ مبتعداً عن الجدل العقيم : —

قال حضرتهُ ان ولس يفوق لول شهرةً كما يفوقهُ سنًّا وخبرةً فاذا كان يعني الشهرة على الاطلاق فلربما كان مصيباً ولا اجادلهُ في ذلك اذ لا يوجد مقياس ميكانيكي بهِ نقيس شهرة كل منهما ونقابل الارقام التي تدل على ذلك لنحكم ايهما اشهر وهب انني سلمتُ ان ولس اشهر من لول فالحقيقة لا علاقة لها بشهرتهما ولذلك لا تثبت بثبوت الافضلية للواحد على الآخر ولا تنتقض بانتقاضها اما اذا كان يعني ان ولس اشهر اي اعلم من لول

في الفلك والرياضيات والفلسفة الطبيعية والتحليل السبكتروسكبي فهذا غير مسلَّم بهِ ولستُ اظنُّ ان احدًا في الكون يوافقهُ على ما يدعي ويعذرني اذا قلتُ لهُ اننا لا نعرف ولس غير العالم الطبيعي "Naturalist" قسيم دارون وليس لهُ ادنى اسم او شهرة في العلوم التي ذكرتها سابقًا (وهذا لا يحط من مقامهِ)

ما لنا ولهذا وذاك لنَرَ ما كتب ولس ونفند دعواهُ . يقول في كتابهِ "Man's place in the universe," (صفحة ٢٦٧) : —

" الوحدة القياسية على سطح المريخ يصلها نصف مقدار حرارة الشمس التي تصل الوحدة على سطح ارضنا وبما انهُ خالٍ من الماء لان بقعتي الثلج عند القطبين مسببتان عن رسوب الحامض الكربونيك او غيرهِ من الغازات (الثقيلة) فلا يصلح لحياة الحيوان ولربما كان صالحًا للنباتات الاولية البسيطة وصغر حجمهُ وكتلتهُ (كتلتهُ تعدل تسع كتلة الارض) يجعل جوهُ لطيفًا ورقيقًا للغاية فلا يحفظ اثناء الليل ما اختزنهُ من الحرارة مدة النهار بل تفلت سريعًا بالاشعاع ويؤيد هذا الاستنتاج ما نعلمهُ من درجة الانعكاس القليلة التي تدل على انهُ قلما يوجد غيم في جوهِ الرقيق فتكون حرارتهُ في القسم الاكبر من يومهِ تحت درجة الجليد وخلوهِ في ذات الوقت من البخار المائي والماء الذائب يحتم انهُ ليس صالحًا لسكنى الانسان ومعيشة الحيوان. اه "

فما ذكر يظهر ان ولس لا يسلم براي لول لسببين الاول لعدم وجود الماء في المريخ على الاطلاق اذ يعتقد ان ما يحسبونهُ ثلجًا ليس الاَّ غاز الحامض الكربونيك المتجلد وهذا مردود لان الادلة على انهُ ثلج اقرب الى العقل وقد اثبت الاستاذ بكرنج انهُ ماء بواسطة الآلة المعروفة بالبولارسكوب (المقتطف سنة ١٩٠٧ وجه ٧٠٧ سطر ٣) وورد ذلك ايضًا في التقارير الفلكية وفي اواسط شباط ارسل الاستاذ لول نبأً برقيًّا للسر نورمان لوكير يخبرهُ ان المستر سليفر Slipher وفق الى اكتشاف خطوط البخار المائي بواسطة البكترسكوب فوتوغرافيًّا والآن لديهِ صور عديدة منها (رأيت ذلك في التقارير الفلكية وفي مجلة نيتشر الانكليزية في ١٢ آذار ١٩٠٨) ويليهِ ما يأتي : —

كان يظن اولاً ان الثلج الذي يظهر على قطبي المريخ مسبب عن تجلد الماء حتى قال البعض انهُ ناتج عن تجمد غاز الحامض الكربونيك " وللآن لم يكتشف احد خطوط هذا الغاز في السبكتروسكوب " ثم قامت مسألة تغير مظاهر وجه السيار فعللها الدكتور لوكير انها مسببة عن الغيوم والضباب التي تتكون من البخار المائي وذكر ذلك في خطبة قدمها في

احتفال الجمعية الملكية الفلكية سنة ١٨٦٣ وبعدئذٍ اعتقد العالمان هجنس وفوكل انهما اهتديا الى وجود خطوط البخار المائي في السبكتروسكوب ولكن ابحاث كمل وكيلر لم تثبت ذلك بل فتهُ اما الآن فيظهر انها اثبتت على ما علمناهُ من ابحاث مرصد لول

وفي كتاب حديث للدكتور ولس عنوانهُ "هل المريخ مأهول" برهان بناهُ على ما يعترض بهِ بعض الفلكيين ان لا دليل على وجود البخار المائي بل هو مفقود بالكلية لان السبكترسكوب لم يكن قد اظهر ذلك ولكن هذه العقبة قد ازيلت الآن اذا ثبت ما اكتشفهُ المستر سليفر من وجود البخار المائي الذي نحسبهُ نحن بالقياس الى ارضنا زومياً للحياة ويكون هذا الاكتشاف من اعظم الدعائم المؤيدة لآراء الاستاذ لول التي هي احسن ما قدّم لتعليل المظاهر الغريبة والاختلافات العجيبة وقد قابلها الفريق الاكبر من العلماء بمزيد الحفاوة والاعجاب

ثانياً جميع العلماء يعترفون ان المريخ ابرد من ارضنا ولكنهم يختلفون في تعيين مقدار درجة حرارة سطحهِ والفريق الاكبر منهم يعتقدون (ومباحثهم العلمية تؤيد اعتقادهم هذا) انها كافية لقيام الحياة وان الحرارة العالية تضع حدًّا لوجود الحياة لا البرد كما ابان الاستاذ مِرْيَم (Merriam) الاميركي في مقالاتهِ التي نشرتها دار العلم السمثسونية في تقاريرها السنوية

وقد سرني جدًّا استشهاد حضرة مناظري بكتابات المقتطف لاننا جميعاً نقدر المنشئين حق قدرهما ونعلم مقدار ما يعانيانهِ من التعب في جمع المواد التي تدرج والحرص الشديد على انتقاء الحقائق العلميَّة ونشرها في اللغة العربية فحق لحضرتهما الثناء من كل اديب وبالاخص لما يبديانهِ من افكارهما الخاصة وملاحظاتهما الشخصيَّة · ولكي يطلع القراء على الفقرة التي اشار اليها مناظري الكريم انقلها بالحرف الواحد واترك لحضراتهم الحكم فيما اذا كان لي ام عليَّ : —

"والخلاصة ان المريخ صار قريباً من الشيخوخة والهرم فان كانت مخلوقاتهُ الحية لم تبد عن وجههِ بعدُ فقد صار زمن انقراضها قريباً والله اعلم" "المجلد العاشر وجه ٦٨"

اما النقطة الثالثة فجل ما استطيع ان اقول فيها ان الفريق الاكبر من الفلكيين يعتقدون ان الخطوط ليست طبيعيَّة ومن خالفهم قال انها نتيجة الوهم والخداع ولكن آراءهم هذه قد فندت كلها ولست اذكر ان احداً قال انهُ من الممكن "ان تكون من جملة الحوادث الطبيعية التي لم يبحث احد في تعليلها حتى الآن لانها لا تحدث في ارضنا" لان ذلك يخالف القضايا العلمية المسلم بها اذ تكون نتيجة سبب طبيعي ومعلوم ان الارض وسائر

السيارات من اصل واحد وكلها تخضع لذات النواميس والشرائع الطبيعية وهذا قانون في الكون مسلم بهِ عند العلماء والفلاسفة ولا شيء يخالفهُ ويعبرون عنهُ بلفظة (uniformity of nature) واللاهوتيون يسمونهُ "وحدة المقصد في الكون" فاذا وجدت آثار ذلك السبب الطبيعي في سيارٍ ما لزم ان تظهر في غيرهِ ولكن الارصاد الفلكية على اختلاف انواعها والابحاث العلمية تنقض ذلك وتثبت ان الترع موجودة فقط في المريخ

ولا يعتقد مناظري ان الذين يسلمون بآراء الاستاذ لول يجعلونها بمنزلة الوحي او يعتبرونها قوانين ونواميس راسخة كقوانين الجاذبية بل هم يعترفون انها احسن الآراء التي قدمت حتى الوقت الحاضر لتعليل تلك المظاهر الغريبة واظن ان الاستاذ لول نفسهُ لا يعتقد باكثر من ذلك ولكنهُ يتوهم انهُ سيصل الى حقيقة راسخة ويكتشف السبب الذي سيكون في المستقبل ناموساً عاماً مسلماً بهِ من الجميع وستبقى تعاليلهُ وآراؤُهُ هذه نظريات فقط حتى تثبت او تنقض بما هو احسن منها

واما الاعتراضات الرياضية التي يقدمونها ضدهُ فبعيدة عن الصواب واكثرها يؤدي الى نتائج تخالف الحقيقة لان زعماءها يسقطون سهواً او عمداً بعض العوامل التي يظن ان لا تأثير لها في العمل ولكن اذا بقيت وجرينا على ذات الطريقة التي يجرون عليها تكون النتيجة اثبات نتائج الارصاد العلمية مع فرق زهيد كما هو الحال دائماً وابداً بين الامور النظرية والعلمية. ولولا ضيق المقام وملل القراء (لان هذه الابحاث للخاصة) لكنت اتطرق اليها واظهر مواقع الخلل فيها

وفي الختام أُعيد ما كتبتهُ سابقاً ان آراء الاستاذ لول ليست الاَّ آراء فقط ولكنها افضل واحسن ما قدم حتى الوقت الحاضر لتعليل المظاهر التي نراها على وجه ذاك السيار

بيروت المدرسة الكليَّة منصور جرداق

حقوق المرأة

سيدي الفاضلين منشيء المقتطف الزاهر

يسركم ولا ريب ان انقل الى مسامعكم الكريمة خبراً طيباً عن جمعية خيرية انشئت في بيروت منذ سنة ١٨٧٠ وكان لكم يد في ادارتها واعمالها. ترأسها احدكم الدكتور صروف سنة ١٨٨٣ وسنة ١٨٨٥ وترأسها الدكتور نمر سنة ١٨٨٤ — وهي لا تزال حية مع ما تقلب عليها من الادوار تسعى ضمن دائرتها المحدودة لمساعدة الفقراء المرضى وتطبيبهم

ومعالجتهم مجاناً وتساعد جمعية الاعتدال في مشروعها الجليل وهو انشاء غرف القراءة المشهورة في بيروت عدا عما تنشرهُ وتذيعهُ من التآليف المفيدة والخطب المصلحة. تلك هي جمعية شمس البر

احتفلت هذه الجمعية احتفالها السنوي بحضور جمهور كبير من اهل الفضل والادب مساء الخميس في ١٩ مارس في دار مدرسة الاحد الاميركانية وخطب فيها لاول مرة الخطيب الشرقي المعروف في العالم الغربي بصاحب رباعيات ابي العلاء المعري الشاعر الناثر امين افندي ريحاني وكان كلامهُ في العزلة فتفنن فيها ما شاء وشاءتهُ مخيلتهُ الشعرية الفلسفية. ثم تلاهُ جناب الشاعر الياس افندي حنيكاتي بموشح منسجم موضوعهُ عاقبة الزواج الاجباري ومن ثم تباحثت الآنسة الكاتبة سلمى نسيم طراد والقانوني البارع عزتلو داود بك نقاش في “هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة” وتلا ذلك كلمة في الحكم في المسألة لكاتب هذه السطور ثم ختمت الحفلة بقصيدة عامرة لجناب الشاعر شبلي بك ملاط موضوعها “الوردة الذابلة” وانصرف الحضور مرتاحين الى ما شاهدوهُ والى ما سمعوهُ في الحفلة

وقد طلب اليَّ بعض الادباء ان انشر كلمة الحكم على صفحات المقتطف الاغر اثارةً لخواطر بعض كتابنا الادباء في هذا الموضوع فلبيت الطلب — وهذه صورة الحكم

— هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة —

مسألة لو أُخذت على ظاهرها لكان البحث فيها عقيماً مضحكاً — المرأة تطالب الرجل بالمساواة وما معنى هذا ؟ هل تطالب المرأة الرجل بالمساواة في الخلق او في المدارك او في المقام في المجتمع الانساني ؟ هل يمكن ان تعني ذلك والمساواة اسم بلا مسمى عند التحقيق ؟ اين المساواة في الوجود ؟ في الطبيعة حوالينا ؟ في السماء فوقنا ؟ في المخلوقات جميعها — في النبات والحيوان وفي الانسان ؟ اين المساواة في المدارك والمواهب ؟ كل انسان يختلف عن اخيهِ في الخلق وفي الادراك وفي الاستعداد الفطري والاكتسابي. هل يحق لزيدٍ ان يطالب عمرًا بالمساواة ؟ هل يحق للتلميذ ان يطالب المعلم بالمساواة ؟ هل يحق للمرؤُوس ان يطالب الرئيس بالمساواة ؟ “وما الناس الا سيدٌ ومسودُ” هذه هي طبيعة الوجود — وحدة في القوى الخالقة الازلية واختلاف في صور تلك القوى ومجاليها فسبحان المبدع الحكيم

وعليهِ ترون ايها السادة ان المسألة هي غير ما ينطوي عليهِ ظاهرها. ولو وضعت على هذه الصورة “هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة في الحقوق” لاستقام وضعها وامكن البحث فيها وهذا ما عناهُ المتباحثان كما قد رأينا

ظهر ان اهمية البحث تدور على كيفية تفسيرنا معنى الحقوق. فما هي الحقوق ؟ ما هي

حقوق الرجل وما هي حقوق المرأة ؟ وهل هو واقعي ان الرجل قد اهتضم حقوق المرأة حتى قامت قيامتها عليهِ في هذه الازمنة الاخيرة تطالبهُ بتلك الحقوق المهضومة

ما هو الحق ؟ من يجيبنا على هذا السؤال ؟ انقصد القاموس ليقول لنا ان الحق ضد الباطل فلا نستفيد شيئاً من تعريفهِ . أنقصد المتشرعين والمحامين ليقولوا لنا ما هو الحق ونحن نعلم انهم يفسرون الحق بما ينطبق على مقامات المدعين والمدعي عليهم . انقصد الساسة في اوربا واميركا لنفهم منهم ان الحق هو القوة وقيام المصلحة لا غير ؟ اهذا هو الحق الذي نطلبهُ الليلة ؟ الحق المطلق ام الحق المقيد ؟

نترك الحق المطلق وشأنهُ لانهُ لا يعنينا ونأتي الى الحق المقيد لانهُ هو مطلبنا في البحث فما هو حق الانسان المقيَّد ومن قيَّدهُ

حق الانسان ان يحيا ويسعى لما فيهِ ارتقاؤُهُ وسعادتهُ . (هذا هو حقهُ اخذهُ بالارثِ وبالهبة وبوضع اليد وبمرور الزمن كما يشاء محامينا البارع)

وكما تقيدت الحياة في الجسم وتقيَّد سعي المرء في المجتمع هكذا تقيَّدت حقوق الانسان بالنسبة الى ما منحهُ اياه الخالق من القوى النفسية والجسدية وبالنسبة الى المحيط الذي وُجد فيهِ . والانسان هو الذي قيد حقوقهُ فانشأ النظامات والشرائع وتمسك بالعادات الاجتماعية واحتفظ بالتقاليد القومية حرصاً على مجتمعهِ وقياماً لمصلحتهِ ونهض القويُّ منهُ فتسيطر على الضعيف . سنة الله في خلقهِ ولن تجد لسنة الله تبديلا

ولا مشاحَّة ان الرجل والمرأة متساويان في هذه الحقوق الاصلية بمعنى انهُ كما يحق للرجل هكذا يحق للمرأة ان تسعى وتحيا لما فيهِ ارتقاؤُها وسعادتها . والذين يعارضون هذا بقولهم ان حقوق المرأة لا تساوي حقوق الرجل لان قواها العقلية احط من قواهُ فليسمعوا ردَّ شيخ فلاسفة الانكليز الفيلسوف هربرت سبنسر حيث يقول انهُ "لو صح ان الحق يقسم بين الناس بالنسبة الى قواهم العقلية لكان كل رجل يختلف عن غيرهِ بمقدار حقوقهِ اذ لا يوجد مساواة بين الرجال انفسهم ولكان النساء اللواتي ينبغنَ في العلم احق بكثير من حقوق الرجال الذين لا يعملون شيئاً يذكر . فضلاً عن ان ذلك يضطرُّنا الى ايجاد مقياس للقوى العقلية وللحقوق وهو من رابع المستحيلات "

ومن المعلوم اليوم ان علماء العقليات والاجتماعيات قد عدلوا عن الرأْي القديم القائل ان مدارك المرأة احط من مدارك الرجل — الرأي الذي نشروهُ بناءً على ان دماغ المرأة اخفُّ وزناً من دماغ الرجل — فهم يقولون اليوم ان معدَّل القوى العقلية في النساء تساوي معدَّل

القوى العقلية في الرجال وكما ينبغ في الرجال افراد هكذا ينبغ في النساء افراد . وثقل الدماغ لا يحسب بذاتهِ دليلاً على كبر العقل فانهُ قام كثيرون من عظماء الرجال ولم يمتازوا بثقل ادمغتهم فضلاً عن ان النسبة بين ثقل دماغ الرجل وثقل جسمهِ تعادل النسبة بين ثقل دماغ المرأة وثقل جسمها

وآخر ما قيل في هذا الصدد هو هذا : ان الاختلافات في القوى العقلية بين الرجال والنساء انما هي ناتجة عند التحقيق عن الفواعل الخارجية التعليمية والاجتماعية التي تتسلط على الفرد منذ نشوئهِ الى زمن استكمالهِ النموّ الجسدي والعقلي لا عن اختلاف اصلي بين الجنسين او بين الشعوب . بقي انهُ اذا كان الحق الاول للانسان ذكرًا وانثى ان يحيا ليرقي نفسهُ ونسلهُ من بعدهِ ويطلب السعادة في دنياهُ وان الرجل والمرأة متساويان مشتركان في هذا الحق بطبيعة الوجود فكل ما يؤخر المرأة عن التمتع بهذا الحق يؤخر الرجل والعكس بالعكس

واذا كانت حقوق الفرد تكثر او تقل بالنسبة الى تأثيرهِ في ترقية الهيئة البشرية واسعادها فحقوق المرأة اكثر من حقوق الرجل — لا يغضب اخواني الرجال — ذلك لان المرأة هي اسّ العائلة ونقطة دائرتها . هي التي وضعت الحجر الاول في بناية الاجتماع والعمران ولولاها لبقي الرجل وحشًا ضاريًا لا همَّ لهُ سوى الصيد والقنص والسلب والنهب

نظرة الى نشوء الاحياء ايها السادة ترينا ان الانثى اهم من الذكر في ابقاء النسل فكأَن وظيفة الذكر الاولى انما كانت ان يساعد الانثى على ابقاء النسل وترقيتهِ جيلاً بعد آخر . ثم لما نشأَت الحيوانات الثدوية وصارت صغارها تستلزم وقتًا اطول لتغذيتها وتنشئتها حتى تستقل عن امهاتها تولَّد من ذلك مطلب جديد من الذكر وهو مساعدة الانثى على تنشئة الصغار وجمع القوت لها ولهم وهكذا تكونت العائلة البشرية الاولى فكانت المرأة وصغارها اساسًا لها وتفرعت وظيفة الرجل البيولوجية فاصبحت اجتماعيَّة ايضًا . واقامت المرأة وصغارها في البيت وسرح الرجل يطلب الصيد والغنيمة وانضم الى غيرهِ من مقاتلي العشيرة وقلما كان يساكن المرأة واولادها وكثيرًا ما كان يهجرها لسبب او لغير سبب فنشأ عن ذلك نوعان من المجتمع — الرجل باعمالهِ التنازعيَّة التي تستلزم القوة الجسدية والجرأة والدربة في استعمال ادوات الضرب والقتال — والمرأة بمركزها العائلي باعمالها الوالدية التي تستلزم الرقة والحنان والسكينة والصبر. فكانت النتيجة ان الرجل ازدادت مقدرتهُ الجسدية وكبر جسمهُ باعمالهِ وحركاتهِ وتعود المخالطة والاقدام وان المرأة ضعفت قواها الجسدية وصغر جسمها

وتعوَّدت الدعة واللطف والاحتمال

ومن المعلوم ان الحق بجانب القوي ولما كان الرجل اقوى من المرأة بجسمهِ كان هو المسيطرُ عليها منذ نشوءِ العمران. واحست المرأة بحالتها هذه وادركت ان الرجل قليل الوداد فتولدت فيها عزة النفس واظهرت انها لا تبالي بالرجل ساكنها او هجرها ولم تكن تشغلها العناية بالصغار طول وقتها فكانت تستعمل اوقات فراغها في تحضير ما تنتفع بهِ في بيتها فاعملت فكرتها وقادها الاختبار الى جدل الخيوط ونسجها فكانت هي الحائكة الاولى ثم تعلمت بالتجربة والملاحظة مرة بعد مرة ان تحتفظ بجلود الحيوانات التي كان يصطادها الرجل فوضعت بذلك صناعة الدباغة الاولى. وكانت تنكث الارض بالعيدان وتزرع البذور النافعة فأنشأت بذلك صناعة الحراثة والزراعة. وقصارى القول ان المرأة اظهرت للرجل بتصرفها واعمالها انها مستقلة عنهُ فأثر ذلك فيهِ وصار يتزلف اليها ويحاول استمالتها بزينتهِ الخارجيَّة فيتشكك بالريش والعقود والحلى وينقش وجههُ وصدرهُ ومعصميهِ ويظهر الجرأة والاقدام — على حد ما نراهُ ليومنا الحاضر جاريًا في القبائل الهمجية في افريقيا وغيرها — ثم تطرَّق الى ان صار يشتري المرأة بمالهِ من اهلها وعشيرتها وينقلها الى اهلهِ وعشيرتهِ حيث يسهل عليهِ اذلالها واخضاعها ولا سيما بعد ان رآها صناع اليدين تخدمهُ بنفسها وتنفعهُ بمصنوعاتها

وتوالت العصور على الانسان وكان يتنقل في حالات العمران جيلاً بعد جيل فرأي ان صناعة القنص لا تدوم وان الصناعات التي تتعاطاها المرأة هي اسهل مراساً واكثر عائدة من صناعتهِ فاخذ يقتبسها وكان مهيأً لها باستعدادهِ الجسدي والعقلي فلم يطل عليهِ الوقت حتى فاز على المرأة بهذه الصناعات واصبح مسيطرًا عليها بها ينتج المال ويتاجر بهِ

ولما اغتنى استغنى عن التزلف للمرأة واستبدَّ بها فاذلها وكان ينظر اليها كبعض مقتنياتهِ فساءت حال المرأة ولم يبقَ في حوزتها ما تستميل بهِ الرجل الاَّ جمالها ومظاهر زينتها واستعمال دهائها واصبحت ولا وظيفة لها حسب الظاهر الاَّ خدمة الرجل وخدمة عيالهِ — ودامت الحال على ذلك ولا تزال في كل بلاد لم تدخلها عوامل التهذيب وانوار المدنية الحديثة حتى قامت المرأة الغربية في هذه الازمنة الاخيرة تطالب بحقوقها المهضومة ورأى الرجل الصواب في طلبها ففسح لها مجالاً للتعلم والاستفادة ورفع مقامها في المجتمع ولم يعد يخاطب جنسها بالجنس الضعيف بل بالجنس اللطيف وسمى المرأة نصفهُ الافضل ولم يتنازل عن كونهِ الرأس ولكنهُ اجلَّ المرأة ورفعها حتى اصبحت عنقاً تدير ذلك الرأس — وهكذا جرت المرأة الغربية شوطاً بعيدًا في العلم والعمل وبارت الرجال في الطب والمحاماة والتعليم

والتأليف والصحافة وفي الاستخدام في المكاتب التجارية على اختلاف انواعها وفي تعاطي الفنون الجميلة · وقد اعطي لها حق التصويت في الانتخابات التعليمية والادارية ولا تزال تتطال الى حق التصويت في الانتخابات السياسية ويقال انها قد نالت ذلك في بعض البلدان

وبعد ان قدمنا هذه اللمحة من تاريخ المرأة ونشوء مقامها في المجتمع نعود الى مسألة البحث ونسأل هل يحق للمرأة ان تطالب الرجل بالمساواة في الحقوق ولا يسعنا الّا ان نجيب نعم يحق لها ذلك · ثم بالنظر الى ما قدمناه ايضاً نسأل هل تستطيع المرأة اذا مُهدت لها سبل التعلُّم والاكتساب جيلاً بعد آخر ان تباري الرجل في العلم والعمل ونجيب نعم تستطيع ذلك · بقي سؤال ثالث اهم من هذين اسألهُ واجعل الجواب عليهِ خاتمة كلامي وهو هل يحسن بالمرأة ان تزاحم الرجل في اعماله

ايتها المرأة الشرقية — كلمة من رجل يغار على صالحك وينظر اليكِ بعين التجلة والاحترام ويرى ان بكِ صلاح الامة والاجيال المستقبلة · قد رأينا المرأة الغربية المتمتعة بحقوقها الحديثة الطالبة الاشتراك في معامع الحياة وفي اعمال الرجال · رأيناها مستقلة عن الرجل لا تلتمس حماية ولا تخضع لسلطة · رأيناها تعدل عن الذرائع الطبيعيَّة الى الاصطناعيَّة لاستمالة الرجل · رأيناها مندفعة وراء ما يسمونها الحرية وبئس الحرية هي — تعلمت واستنارت بانوار المعرفة ونعمَ ما فعلت ولكنها تمادت في استقلالها فخسرت من تأثيرها الدائم في الوجود واضاعت نفوذها الحقيقي في الهيئة البشرية · فلا تتشبهي بها ايتها المرأة الشرقية وتأخذي بظواهر المدنية الغربية الباطلة · قد عرفتِ بالتعلق الشديد بزوجك وبيتك واولادك فلا تنقصي من هذه الصفات الشريفة · يكفيكِ ان تكوني امًّا — وما اقدس هذا الاسم ! يكفيكِ ان تكوني ربة بيت تسود فيهِ المحبة والطهارة والحنان — يكفيكِ ان تكوني ملاك العائلة مربية اولادك صغار الحاضر وكبار المستقبل — بيديكِ الهيئة البشرية ايتها المرأة تصوغينها جسمًا وعقلاً ونفساً اذا كان فيكِ الكفاءة والاستعداد فاحرصي على هذا المقام المقدس — على هذا العمل الالهي — وتعلمي وتهذبي واستنيري بانوار العلوم المفيدة ما شئتِ وبثي من روحك النقية ومباديكِ القويمة في مَن حولك وكوني مثال التقوى والفضيلة والجمال النفسي اذا وقف بين يديكِ الرجل يتهيب من شعاع الطهارة المنبعث من عينيكِ ووجهكِ

نعم لتطالب المرأة الرجل بحقوقها · ليعلم الرجل ان المرأة هي اساس العائلة ومجلى طهارتها ونقطة سعادتها وانهُ ما دامت المرأة منحطة فالامة تظل منحطة · الامة برجالها ونسائها لا برجالها فقط — النساء اكثر من نصف الهيئة البشرية واي عاقل يؤمل ترقية امةٍ ان لم تترقَّ

نساؤُها — هذه هي كلمتي في الحكم والسلام على من رأى الحقيقة فلم يعمهِ غرضهُ عن الانتصار لها

بولس خولي

علاج لسع العقارب بام درمان

حضرة منشئي المقتطف الاغر

ان نتيجة اشغالنا بمعالجة الذين لسعتهم العقارب باسبتالية ام درمان الملكية سنة ١٩٠٧ هي كما يأتي حسب سن الملسوع

	من يوم الى سنة	من سنة الى خمس	من خمس الى عشر	من ١٠ الى ١٥	من ١٥ فما فوق	المجموع
شفي	٢	١٣	٢٢	٣٣	٨٦	١٥٦
توفي	٢	٤	٣	١	٢	١١
	٤	١٧	٢٤	٣٤	٨٨	١٦٧

ويظهر منها ان طريقة العلاج المتبعة جاءت وافية بالمرام فقد بلغت الوفيات بين الذين لسعتهم العقارب ٦ ١/٢ في المئة فقط وقد كانت قبل ذلك من ٤٠ الى ٥٠ في المئة

وقد ثبت بالتجارب ان سم العقرب لا يذوب في الكحول وعليهِ بنيت طريقة حقن الكنياك الطبي تحت الجلد ولا سيما في الاطفال في الاليتين بجوار الجزء الذي فيهِ اللسع من الاعلى مع ربط الطرف الذي فيهِ اللسع من فوق اللسعة وفصدهِ في محل اللسعة ان كان معلومًا وكيهِ بسائل النشادر او الحامض الفينيك او الخل او ما يشبه ذلك لكن يخرج جزء من السم مع الدم الخارج بالفصادة ويستحيل الجزء الآخر الى مادة أُخرى وفي الغالب يزول فعلهُ السمي واذا امتص فلا يكون منهُ الاَّ تأثير وقتي يزول بسرعة ويشفى الملسوع. ولا يفك الرباط الاَّ بعد مضي ١٢ ساعة على الاقل ان لم يكن هناك موجب لفكهِ كالالم الشديد والورم الشديد من احتباس دورة الدم. وللكنياك الطبي المحقون تحت الجلد فوق اللسع وبعد الربط فعل مفيد وهو اولاً انهُ يمنع ذوبان السم الذي امتصهُ الدم فيبقى معلقًا فيهِ ولولا ذلك

ذاب في الدم لان فيهِ (اي في الدم) ملحًا يسهل ذوبانهُ وامتصاصهُ بسرعة وظهور عوارضهِ القتالة فجأةً . وفوق ذلك فانهُ لا يأذن بظهور عوارض السم الأ تدريجًا فيسهل افراز جزء منهُ وينجو الملسوع ولو كان صغير السن ولم يعلم مكان اللسع . ولذلك يستحسن شرب قليل من الكنياك مع الشاي لكي تنتبه الغدد العرقية فتفرز جانبًا من السم مع العرق . والكنياك فعل خاص بالقلب فينشطهُ ويقويهِ ليدافع عن سائر اعضاء الجسم التي تكون قد ضعفت من فعل السم بها

واذا لم يربط العضو الملسوع فيستحسن تشريطهُ وحجمهُ بكاس الحجامة لامتصاص بعض الدم المتسمم منهُ . واني اوصي بالامتناع عن الالبان لانها تجمد في المعدة وعن الامراق الكثيرة الملح . وخير منها المرق الخالي من الملح والشاي والكنياك بعد اللسع باربع وعشرين ساعة ثم يُعاد الى الطعام العادي تدريجًا بعد زوال الاعراض كلها

هذا ما دلت عايهِ تجاربنا في هذا الموضوع مدة سبع سنوات

الدكتور محمد علي النكلاوي

باب الزراعة

البحر الابيض وموسم القطن

للسر وليم ولككس

(تابع ما قبلهُ)

لننظر الآن ماذا كان المصريون الاقدمون يفعلون . فانهم لم يكونوا يستطيعون ان يمسوا البحر الابيض ولا الازرق ولا نهر الاتبرا ولكنهم استعملوا النيل كما يصل اليهم فانهم رأوا ان المياه الحمراء التي تصل بهِ من اواسط اغسطس الى اواسط اكتوبر يمكن اجراؤها بالترع الى الاطيان وابقاؤها فيها نحو شهرين من الزمان لكي يرسب منها ما فيها من الطمي الذي تجود بهِ الارض . فجعلوا الارض حياضًا يبقى الماء فيها مدة كافية لتتشرب منهُ وتتغطى بطبقة من طميهِ وحينئذٍ تصرف المياه الصافية الى النيل فيبذر الزارع بذارهُ في الارض فينمو فيها القمح والشعير والكتان والفول والبرسيم والعدس من غير حاجة الى الري لان

الفصل يكون شتاءٍ بارداً · وهذا الاسلوب اي ري الحياض هو افضل اسلوب عرفهُ الناس ودام متبعاً سبعة الآف سنة وبقيت الارض خصيبة في آخرها كما كانت حينما ابتدأ · وقد اخذ الري الصيفي يقوم مقامهُ ولكنهُ لا يزال هو احكم اسلوب استنبطهُ الناس للري

ولذلك رأى المرحوم الكولونل روص الذي كان مفتشاً لعموم الري انهُ ليس في الامكان ابطال ري الحياض وابدالهُ بالري الصيفي ولم يكن موافقاً لي وللسر همبري برون وللمستر فوستر لما اشرنا بالري الصيفي ولا للكولونل وسترن والمستر ريد اللذين بيَّنا مقدار الفائدة المالية التي تنالها البلاد من القناطر التي ترفع الماء للري الصيفي

ان محمد علي جد العائلة الخديوية بدأ حكمهُ في هذه البلاد بادخال الري الصيفي (او الري المستديم) الى الوجه البحري حتى يصير وطناً للقطن كما كان وطناً للحبوب منذ العصور الخالية وكان محمد علي رجل عمل ومن عهدهِ الى الآن ونطاق الري الصيفي يزيد اتساعاً ولا سيما بعد انشاء خزان اصوان · وغرضي ان اريكم الآن كيف يمكن ان يقوم الري الصيفي مقام ري الحياض في القطر المصري كلهِ فتصير بلاد مصر مثل بلاد بابل من هذا القبيل حينما كانت بلاد بابل في اوج مجدها وحينئذٍ يفهم قول الخليفة المأمون الذي قال حينما صعد على جبل المقطم ورأى وادي النيل مبسوطاً امامهُ انهُ لو رأى فرعون وادي الفرات ما افتخر بانهُ ملك مصر

والري الصيفي او المستديم يستدعي ان تبقى مياه الري في الترع على مدار السنة ويجب ان يكون مقدار الماء قليلاً في فصل الشتاء واكثر منهُ في الصيف واكثر كثيراً في زمن الفيضان · اما النيل فيكون ماؤُهُ كافياً في زمن الفيضان وزائداً في الشتاء وقليلاً جداً في الصيف فلا بد من قلب الحالة الحاضرة بين الشتاء والصيف

اما مقدار الماء المطلوب صيفاً فيظهر من النظر الى الاطيان التي تحيا سنوياً ثم لا يمضي عليها سنون كثيرة حتى تعود الى حالتها السابقة حينما كانت مستملحة فان منظر تلك الاطيان اذكرني كلام الدكتور شوينفرث الذي قال ان الري المصري هو جهاد مستمر في مقاومة الملح وقد ظهرت الآن شدة هذا الجهاد

جاء في تقرير لورد كرومر عن مصر سنة ١٩٠٧ ان الفدان من المليون فداناً من الاراضي المستملحة في الوجه البحري يحتاج الى ٢٦ متراً مكعباً من الماء في اليوم اذا اريد زرع اربعين في المئة من هذه الاطيان زراعة صيفية · اما انا فيظهر لي بالاختبار ان هذا المقدار من الماء يبقي تلك الاطيان في حالة من الملوحة لا خلاص منها · وهذا التدقيق

والتقتير في الماء على الاطيان الضعيفة في الوجه البحري هو الذي ابقى موسم القطن على حالهِ من غير ان يزيد مع ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً قد زادت كثيرًا لان هذه الاطيان تحتاج ان تغسل مرارًا وتجدد قواها بزرع الرز لتتغلب على ما فيها من الملح والرز يحتاج الى ماء كثير

ورغبتي في التدقيق والتقتير جعلتني اقول انهُ اذا زيد ماء النيل اربعة مليارات من الامتار المكعبة صار كافياً للري الصيفي في القطر المصري كلهِ . اما الآن فاقول اننا اذا اردنا احياء الاراضي البور وبقاء الاراضي المستملحة في حالة صالحة للزراعة لزمنا ملياران من الامتار المكعبة للاراضي المستملحة وحدها ولذلك نحتاج الى ستة مليارات من الامتار المكعبة. ولقد بحثت مرةً في هذا الموضوع مع المرحوم نوبار باشا وذكرت اموراً احسبها اليوم غير صحيحة فاصغى الى كل ما قلتهُ ثم قال انهُ لو تُرك الامر لهُ لوهب كل مفتش من مفتشي الري خمس مئة فدان من الاراضي البور فان معظم ما ينتج عن الضرر من ذلك ان المفتشين يحسنون ري اطيانهم ولو حرموا اطيان جيرانهم من الماء ولكن الفائدة التي تنالها البلاد من توسيع اختبارهم تساوي الملايين. ولقد اصاب في ما قال فاني طفت في بلاد لمبرديا بايطاليا منذ بضع سنوات فرأيت انهُ يعطى للاراضي الخصيبة حول ميلان من الماء ما يساوي ثمانين مترًا مكعباً في اليوم للفدان . واني لا استغرب ذلك الآن

والماء وحدهُ لا يحقق نجاح النصف الشمالي من الوجه البحري بل لا بد للحكومة من ان تقتدي بارباب الزراعة في ايطاليا الذين في الاراضي الواطئة فانهم تعلَّموا بعد طول الاختبار ان خصب الارض لا يدوم الاَّ اذا صرفوا منها المياه فالَّفوا شركات واقاموا طلمبات تسحب مياه الصرف من اطيانهم الواطئة وتصبها في مصارف الحكومة واقتسموا نفقات الصرف بينهم وقد جاء عملهم هذا بالنجاح. ويحسن بالحكومة المصرية ان تفعل فعلهم لانهُ لا يوثق بغيرها في هذه البلاد ثم تتقاضى نفقات الصرف من اصحاب الاطيان الذين ينتفعون بهِ

ولنعد الآن الى الستة المليارات من الامتار المكعبة اللازمة لتعميم الري الصيفي في القطر كلهِ فنقول

يظهر مما ذكرتهُ سابقاً انهُ يمكن خزن ثمانية مليارات من الامتار المكعبة في السنين المعتدلة الفيضان في البحر الابيض عند الخرطوم بين ١٥ اكتوبر وشهر مارس لتضاف الى النيل بين شهر ابريل ويوليو وذلك فوق المليارين اللذين يخزنان الآن بخزان اصوان واذا كانت السنة واطئة الفيضان جدًّا فيمكن خزن اربعة مليارات. واذا عملت الجرافات في اعالي البحر الابيض وسدَّت الفتحات الجانبيَّة التي يسيح بها الماء منهُ وابطلت التعرُّجات التي لا لزوم

لها وجرى الماء كلهُ فيهِ من غير ان يضيع منهُ شيء سدًى فالماء الذي يمكن ان يخزن فيهِ يزيد على ما تقدَّم زيادة كبيرة

واستطرد الخطيب الى مسائل اخرى معترضة ثم عاد الى سياق كلامهِ فقال ما مفادهُ انهُ اذا بنيت قناطر عند ملتقى البحرين الابيض والازرق مثل قناطر اسنا فانها تحجز من الماء ما ارتفاعهُ اربعة امتار ونصف متر فقط وقناطر اخرى قرب شجيرة غوردون تحجز من الماء ما ارتفاعهُ ثلاثة امتار ونصف متر تكوّن بينهما خزان يسع ثلاثة مليارات من الامتار المكعبة تكفي مصر والسودان من الآن الى ما بعد سنين كثيرة . او تبنى القناطر الاولى عند مقرن البحرين والقناطر الثانية عند مخاضة ابي زيد . فاذا فعلنا ذلك وتحكمنا بمصب السُّبَت خزنًا كل ما يلزم لمصر والسودان من الماء ومنعنا خطر الغرق بزيادة الفيضان . وثلاث سنوات تكفي لعمل الاعمال اللازمة لخزن ثلاثة مليارات بنفقة اقل من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولكن ذلك الخزان لا يغني عن خزان اصوان بل لا بدَّ من الاثنين معًا لجعل الري الصيفي عامًا للقطر المصري . ثم التفت الى وادي الريان لجعلهِ مهربًا لمياه الفيضان اذا زادت كثيرًا وخيف من الغرق وعاد الى خزان البحر الابيض فقال ان لا بدَّ منهُ لخزن الماء الكافي لزراعة هذا القطر

معامل الفراخ

لقد يستغرب القراء هذا العنوان ولا سيما اذا كانوا من غير سكان هذا القطر . ولكن ابناء القطر يعلمون ان في كثير من قراهُ معامل لتفريخ البيض تعمل بضعة اشهر من كل سنة والمفرّخون في هذه المعامل رجال من اهالي برما قرية قرب طنطا وهم متقنون لهذه الصناعة يتوارثونها ابًا عن جد

والمعمل بناء واطئ لهُ طبقتان يحمى اولاً بحرق التبن فيهِ الى ان تسخن جدرانهُ ثم تنزع النار والرماد منهُ ويوضع البيض في الطبقة السفلى وتوقد النار في الطبقة العليا . ويأتي بائعو الفراخ الى مدير المعمل بالبيض فينتقي منهُ ما يظنهُ صالحًا وذلك باستشفافهِ في الشمس ويشترط على نفسهِ ان يعطي بائع الفراخ ستين فرخًا من كل مئة بيضة وما زاد من الفراخ فلهُ وان نقص منها شيء بقي مديونًا بالنقص . ويرتب البيض في المعمل يومًا بعد يوم حتى اذا مرَّ عليهِ فيهِ ٢١ يومًا جعلت الفراخ تخرج منهُ حسب وضعهِ في المعمل اي ان البيض الذي يوضع في اول مارس يفرخ في ٢١ منهُ والبيض الذي يوضع في ٢ مارس يفرخ في ٢٢ منهُ

والبيض الذي يوضع في ٣ مارس يفرخ في ٢٣ منهُ وهلمَّ جرًّا

وبائعو الفراخ يأخذون فراخهم و يضعونها في اقفاص و يبيعونها للفلاحين من غير ان يهتموا باطعامها وهم يشترون البيض من غير ان ينتقوهُ من الدجاج والديوك الكبيرة لان غرضهم بيع الفراخ حالما تولد ولهذا السبب صارت الفراخ المصرية من اصغر الفراخ و بيضها من اصغر البيض حتى اننا لما اتينا القطر المصري اولاً ورأينا بيض دجاجهِ ظنناهُ بيض حمام لا بيض دجاج

فطريقة التفريخ طريقة عملية حسنة جدًّا ولكن عدم انتقاء البيض من الفراخ الكبيرة والديوك الكبيرة افضى الى ما نراهُ من صغر الفراخ والبيض اذ لم يبقَ سبيل للانتخاب الطبيعي ولا للانتخاب الصناعي وهذا خطأٌ وخسارة كبيرة ولذلك فالمجال واسع لاناس يهتمون بجلب الدجاج الكبيرة الاجسام والبيض وتفريخ بيضها فقط دون سواهُ حتى يكثر هذا النوع الكبير الفراخ والبيض . وقد لا يمكن المتاجرة بالصيصان حينئذٍ حين ظهورها لانها تكون صغيرة مثل غيرها ولكن الذين يفرّخونها قصد تربيتها يعلمون انها من نوع كبير و يمهلونها الى ان تكبر فيباع الفرخ منها بمضاعف ما يباع بهِ غيرهُ

الواردات الزراعية

ورد الى القطر المصري في العام الماضي من الحبوب ونحوها ما ثمنهُ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
قمح	بالكيلو غرام	١٥٨١١٨٦٦	١١٢٨٣٨
زرة	″	٤٩٩٢٣٣٥	٢٤٢٣١
حمص	″	٣٥٥٢٢١٣	٢٣٢٢٥
ترمس	″	٣٥٧١٠٨٠	٢١٩١٣
شعير	″	١٧٢٦٢٨٤٣	١٠٠٣٥٤
ملت	″	٩٥٤٥٩٥	١٢٩٥٨
رز	″	٤٣٣٠٠٤٧٣	٣٨٥٥٦٩
عدس	″	٧٢٩٤٠٤	٦٣٠٩
بازلا	″	٢٧٦٦١٩	٣٥٩٠
فول	″	١٢٠٢٦٣٢	٧٩٠١

حشيشة الدينار	بالكيلوغرام	١٠١٢٠	١٨٦١
سمسم	«	٧٢٩٢٨٤٦	١١٠٤٤٢
كستنا	«	٢٢٦٤٢٠٢	١٩٧٨٦
بطاطس	«	١٨٤٠٣٣٥٦	٧٠٧١٩
حبوب وخضر في علب		—	٥٥٣٨٨
دقيق قمح وذرة	«	١٤٠٦٨٠٧٢٠	١٢٢٧٠٨٦
انواع اخرى من الدقيق والوضة	بالكيلوغرام	٦٠٠٧٩٧٤	٣٨٢٨٣
نشا	«	١١٧٢٠٩٩	١٤٧١٢
سميذ	«	٤٦٣٤٣٢٨	٤١٨٩٢
برغل	«	١٥٧٦٤١٣	٢٧٥٧٧
عنب	«	٩١٢٩٨٧٦	٦١٦١١
موز	«	٨٥٨٢٩٨	١٥١١٨
تمر	«	٤٥٣٢٠٥٥	٣٤٩١١
ليمون وبرتقال		—	٣٢٣٩٩
اثمار اخرى خضراء	بالكيلوغرام	١٣٥٩١٤٨٩	٨٢١٦١
بطيخ وشمام بالآلاف		٧٦٣١	٦٦٠٦٤
اثمار يابسة	بالكيلوغرام	١٦٦٥٨٨٢٨	٢٣٦٩٩٢
مقددات		—	٥٢٩١٠
زيتون	بالكيلوغرام	٣١٣٧٩٤١	٣٢٠٣٠
مواد اخرى نباتية		—	٥٣١٢٥
الجملة		—	٢٩٦٣٩٥٤

ومن البن والسكر والطيوب وما اشبه من حاصلات المستعمرات ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
سكر مكرر	بالكيلوغرام	٢٤٨٨٩٨٠٩	٢٧٨٣٥٢
بهارات	"	١٧٧٧٣٣	١٢٣٥٩
		—	٣٠٤٥
فلفل	«	١٠٣٤٤٨٩	٣٥٨٦٨

بن	بالكيلوغرام	٦٧٩٣٢٥٨	٢٦١٧٣٩
شاي	"	٣١٥٠٧٣	٢٤٦٧٣
مربيات	"	٢٥٠١٠٢٤	٨٦٠٥٦
بسكوت	"	١٠١٧٢١٥	٣١٨٨٠
بقسماط	"	٤٧٧٧١	٩٨٩
شكولاتا	"	٢٦٠٢٥٦	٢٤٤٦٩
والمجموع			٧٥٩٤٣٠

ومن المياه المعدنية والخمور والزيوت وما اشبه ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
مياه معدنية	بالدستة	١٨٥٩٥٣	٣٦٢٤٥
خمور	بالكيلوغرام	١٥٦٢٠٥٥١	١٣٤٦٧٠
	بالدستة	٥٠٠٤٧	٦١٣٧٧
خل	بالكيلوغرام	٥٥٣١٠٥	٢٨٨٥
بيرا	بالبراميل	١٤٨٧٥١	٦٨١٧٥
	بالدستة	٢٤٥٠٩٣	٥٧٢٥٧
الكحول نقي	بالكيلوغرام	٩٤٤٥٦٣	١٤٥٦٠
اشربة روحية	"	٥٦٦٥٩٠	٢٣٣٧٠
	بالدستة	١٤١٠٠٧	١٣٣٢٨٦
زيت زيتون	بالكيلوغرام	٢٥٨٥٢٤١	٨٢٣٩٩
زيت قطن	"	١٨٠٤٨١	٤٥١٠
زيوت اخرى	"	٥٣١٩٣٠٧	١٤٤٩٩٤
زيوت ظيارة		—	١٠٢٨٣
بترول	بالصندوق	٣٧٢٩٢٠	٤٧٤٠٠
	بالطن	٦٨٦١٦	٢٤٩٦٠٠
مازوت	"	١٤٠٠	١١٩٠
زيوت معدنية اخرى	بالكيلوغرام	٧٥٣١٧٤٧	٧٩٢٢٠
والمجموع			١١٥١٤٢١

ومن الخيل والبقر والغنم والمعزى وسائر الاطعمة الحيوانية ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
خيل وبغال الخ	بالرأس	٤٩٦٤٢	٢٩٠٨٨١
بقر وعجول	"	٤٢٨٩٧	١٥١٩٦٣
جواميس	"	٢٦٥٠	١٥٤٥٠
غنم ومعزى	"	٣٩٤٦٦٥	٢٤٥٣٩٩
خنازير	"	٢٤٥٤	٥٥٠٧
حيوانات اخرى		—	٩٨٦٣
لحم مقددومدخن	بالكيلوغرام	١٦٢٧٠٠٢	٩٧٣٦٨
سمك مملح ومدخن ومكبوس	"	١٨١٦٠٧٧	٥٣٦٩٢
	—	—	٥٩٠٠١
زبدة	بالكيلوغرام	١٥٩٧١٣١	١٣٠١٧٥
مرجرين (زبدة صناعية)	"	٣١٧٣٤٩	١٣٧٢٣
جبن	"	٣٩٢٣٩٦٣	١٥٩٥٢٤
عسل	"	٦٠١٣٨	١٧٢٥
لبن مكثف وقشدة		—	١٧٦٠٠
مواد حيوانية اخرى		—	٢٨٩٦٨
والجملة			١٢٨٠٨٣٩

ومن الجلود والمصنوعات الجلدية ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
جلود بقر مدبوغة	كيلوغرام	٣٧٣٢٢٨	٦١٣٣٢
	بالعدد	١٠٢١٧٧	٥١٧١٢
جلود غنم مدبوغة	كيلوغرام	١٥٥٠٣٤	٣٤٣٠٩
	بالعدد	٨١٥٩٨	١٦٠٠٨
جلود اخرى مدبوغة		—	١١٣٣
سروج		—	٢٧٣٦٦
جزم	بالزوج	١٢٨٢٦٠٩	٢٠٧٦١١

جلود مدبوغة اخرى	—	٢٨٥٢٨
مصنوعات جلدية	—	٣٦٦٢٥
والجملة		٤٦٤٦٢٤

ومن الشمع والدهن ما يأتي

اسم الصنف		الوزن	الثمن بالجنيه المصري
شمع اصفر	كيلوغرام	٣٣٥٩	٣٦٥
ادهان	«	١٤٢٥٩٠٤	٣١٩٨٣
شمع ابيض	«	١٢٥٤٦٠٠	٤١٩٥٧
مواد اخرى حيوانية		—	١٨١٤٧
والمجموع			٩٢٤٥٢

ومجموع ما في هذه الجداول ستة ملايين وسبع مئة الف جنيه والمواد النباتية منها يمكن استغلال اكثرها من هذا القطر والحيوانية يمكن توليدها وانتاجها فيهِ ايضاً ولا نبالغ اذا قلنا انهُ اذا وجهت العناية التامة الى زرع كل ما يمكن زرعهُ من الارض وتربية كل ما يمكن تربيتهُ فيها من المواشي استغنى القطر عن اكثر هذه الواردات

ولكن ليس العبرة بما يمكن ان يزرع في القطر بل بما زراعتهُ اربح لهُ . فالقطر المصري اشترى في العام الماضي من القمح والدقيق ما ثمنهُ نحو مليون ونصف من الجنيهات او نحو مليون اردب من الحنطة وهي محصول نحو مئتي الف فدان وهذه المئتا الف فدان لم تترك بورًا لان الفلاح المصري لا يترك شبرًا من ارضهِ بورًا اذا امكنهُ زرعهُ فاذا زرعها قطنًا وبلغ متوسط الفدان منها ٣ قناطير فجملة محصولها ٦٠٠٠٠٠ قنطار وهي تساوي ١٨٠٠٠٠٠ جنيه على الاقل فلا يكون الفلاح قد خسر شيئًا بل استفاد لان بيع القطن اسهل عليهِ من بيع القمح . غير ان الناس وسعوا زراعة القطن وضيقوا زراعة الحبوب حينما كان ثمن قنطار القطن اربعة جنيهات فاكثر وثمن اردب القمح مئة غرش او اقل اما الآن وقد هبط ثمن القطن وارتفع ثمن القمح فلا يبعد ان يضيقوا زراعة القطن ويوسعوا زراعة الحبوب

ومهما يكن من ذلك فالجداول المتقدمة ترشد ارباب الزراعة الى المواد الزراعية التي تستعمل في البلاد ومقدار مقطوعيتها وتدلُّ على ان مجال الزراعة لا يزال واسعًا جدًّا الَّا ان ذلك لا يغني عن بذل الهمة في توسيع زراعة القطن واجادة نوعهِ وتكثير محصولهِ ومنع

الآفات عنهُ وتدبير طريقة لحفظ اسعارهِ من الهبوط الفاحش لانهُ لا يمكن ان توجد زراعة اخرى تكسب القطر المصري نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات غير زراعة القطن

باب التقريظ والانتقاد

كتاب معجم الأدباء

لياقوت الحموي الرومي

نشأ في البلاد الانكليزية منذ عهد قريب رجل اسمهُ الياس جب أُولع بدرس تواريخ الترك والفرس والعرب وعلومهم واديانهم لكن وافتهُ المنية في اواخر سنة ١٩٠١ وهو كهل في الخامسة والاربعين من عمرهِ فاوقفت امهُ مبلغًا طائلاً من المال ينفق ريعهُ على نشر الكتب المتعلقة بهذه المواضيع تذكارًا لهُ. فاقامت لجنة تتولى هذا العمل وقد عنيت هذه اللجنة الآن بنشر كتاب معجم الادباء او ارشاد الاريب الى معرفة الاديب . وناطت صديقنا الاستاذ مرغوليوث بنسخهِ وتصحيحهِ وطبعهِ وقد طبع منهُ الآن المجلد الاول وفيهِ ٤٣١ صفحة بقطع كبير . وقدَّم لهُ مقدمة انكليزية ذكر فيها ما عاناهُ من المشقة في تصحيح النسخة التي اطلع عليها وهي الوحيدة من المجلد الاول من الكتاب فاضطرَّ ان يراجع الكتب التي نقل ياقوت عنها والكتب التي نقلت عنهُ

والكتاب يبتدئ بمقدمة مسهبة للمؤلف ذكر فيها اسماء الكتَّاب الذين الفوا في هذا الموضوع مثل محمد بن عبد الملك التاريخي وابن درستويهِ والمرزباني والسيرافي ومحمد بن حسن الاشبيلي وابي المحاسن المفضل المغربي وابن الانباري . وقال انهُ جمع فيهِ تراجم البصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والمغربيين وغيرهم علي اختلاف البلدان وتفاوت الازمان

اما التراجم التي وردت في هذا الجزء فعددها ١٢٥ تبتدئ بآدم بن احمد الهروي وتنتهي باحمد ابن المعمر . ومن المشاهير الذين وردت تراجمهم في هذا الجزء الزجَّاج والضبي والصولي وبديع الزمان الهمذاني وابي العلاء المعري وقد شغلت ترجمة المعري نحو ستين صفحة عدا ما حذفهُ منها الاستاذ مرغوليوث . والخطيب البغدادي ونفطويهِ والصابي

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً في مطبعة هندية بمصر ومجلد تجليداً مذهباً وعلى جلدهِ بيت عربي و بيت فارسي و بيتان تركيان والعربي هو البيت المشهور القائل

تلك آثارنا تدلُّ علينا   فانظروا بعدنا الى الآثارِ

والفارسي لجلال الدين الرومي ومعناهُ

اذا متنا فافئدة الانامِ   لنا مثوى وليس صفا الرغامِ

والتركي لكمال باشا زاده ومعناهُ

ان ذكاءهُ شمل العالم ظلهُ وفي وقت قصير عمل اعمالاً كبيرة فهو كشمس المغيب طويلة الظل قصيرة الاجل

التقرير السنوي

لدار العلم السمثسونية عن سنة آخرها ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٦

في هذا الكتاب النفيس خلاصة اعمال المجلس الموكول اليهِ ادارة الاموال المخصصة لنشر العلوم والمعارف وهي المعروفة بهبة سمثسن وكانت هذه الاموال اولاً مئة الف جنيه ثم اضيفت اليها هبة من توما هدكنس تبلغ نحو خمسين الف جنيه فبلغت كلها مع الفوائد نحو مئتي الف جنيه ينفق ريعها على المباحث العلمية ونشر المقالات المفيدة وقد نشر في هذا الجزء ٢٨ مقالة لمشاهير العلماء من انكليز وفرنسويين والمانيين وايطاليين وغيرهم

حياة الزوجين

تأليف حضرة مصطفى افندي عبد اللطيف احد موظفي مصلحة البوسطة المصريَّة بالقاهرة

كتاب جامع لكثير من الفوائد التفت مؤلفهُ الى الآيات والاحاديث والسنن واقوال الكتَّاب والمنشئين في كل عصر واختار منها ما يناسب موضوعهُ وهو لزوم الزواج وفوائدهُ والامور التي يعلو بها والامور التي يسفل بها فانتقى كثيراً من شذور المجلاَّت المصرية سواء كانت من انشاء اصحابها او من مقتطفاتهم ومن بعض الكتب الادبية وعزا اكثر ما انتقاهُ الى مصادرهِ وعقد ذلك في فصول مختلفة مثل الزواج وفوائدهِ وماذا يجب في الخطبة وما يجب على المرأة نحو زوجها وماذا يجب على الرجل نحو زوجتهِ وتأثير المرأة في الهيئة الاجتماعيَّة وتربية البنات . ومما ذكرهُ في باب واجبات الزوج نحو زوجتهِ قولهُ

" انظر الى الاوربيين حتى الدرجة الوسطى والدنيا منهم تتمثل لعينك حالة العيلة الحقيقية اذ ترى هناك ما لا ترى لهُ اثراً عندنا من الائتلاف بين افراد العيلة من كبيرها

الى صغيرها ترى عندهم المشاركة في الحياة الاجتماعية على اجمل صورها وابهى هيئتها وترى التضامن العيلي على ابدع اشكالهِ واسمى انواعهِ فاذا طرقت بابًا لهم في ساعة تناول الطعام مثلاً وجدت العيلة حول المائدة تمثل لك الهيئة الاجتماعية وقد قام في صدرها الاب (الرئيس) واحاط سائر اعضاء تلك الهيئة بهِ ودار الحديث بين الكبار الذين يعرفون والصغار الذين يجهلون فاولئك يفيدون وهؤلاء يستفيدون والاب الرئيس يدير نظام ذلك الاجتماع. فما ابهى واجمل مثل هذا الالتئام؟ بل ما ابهى وما اجمل — على قول داود النبي والملك — "ان ترى اولادك حول مائدتك كاغراس الزيتون"

وطبع الكتاب غير حسن ولكن تجليدهُ حسن وهو يقع في ٢٥٦ صفحة بقطع معتدل

فهرس كتب الكيمياء

A Select Bibliography of Chemistry 1492—1902.

اهدت الينا السيدة الفاضلة مسز بولتن زوجة المأسوف عليهِ الاستاذ هنري كارنتون بولتن هذا الجزء من الكتب التي الفها المرحوم زوجها جامعًا فيها تاريخ علم الكيمياء واسماء كل الكتب التي وضعت فيهِ من قديم الزمان الى الآن وكان قد طلب منا ان نرسل اليهِ اسماء كتب الكيمياء العربية التي وقفنا عليها. والمطَّلع على هذا الفهرس يعجب من كثرة الكتب التي أُلفت في هذا الفن ومن اشتغال اهالي اوربا بالكيمياء القديمة ووضعهم الكتب فيها حتى في هذا العصر فان اسماء الكتب التي وضعت في القرن التاسع عشر في الكيمياء القديمة وعنها ملأَت ١٩ صفحة

كتاب جواهر الحكماء

اهدت الينا ادارت مجلة المحيط هذا الكتاب وهو يشتمل على كتابين اولهما كتاب الادب الكبير للكاتب البليغ عبد الله بن المقفَّع مترجم كتاب كليلة ودمنة وثانيهما كتاب بهجة المجالس للحافظ الاندلسي وقد وجد حضرة صاحب المحيط هذين الكتابين في المكتبة الخديوية وهما لا يزالان خطًّا فطبعهما واهداها الى مشتركي مجلتهِ فوقع الاول منهما في ٢٥ صفحة والثاني في ١٢٠ صفحة. والكتابان حافلان باسمى الفوائد وابلغ الحكم وياحبذا لو ابقاها على اصلها فان في نشر الكتب القديمة المحفوظة خطًّا كما هي تمامًا فائدة علمية كما في ما تتضمنهُ حتى لقد تجد العلماء الآن ينشرون الكتب القديمة مصورةً بالفوتوغرافيا حتى تبقى على اصلها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر [illegible] لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) انقباض القزحية

خليج العجم بالبحرين . احد المشتركين . عندنا ولد كان يلعب يوماً بمكنسة فاصاب عود دقيق منها مُقلة عينهِ اليمنى في القزحيَّة تحت البؤبوء فجرحها قليلاً. فعولجت العين بوضع بعض الادوية فيها وكان البؤبوء يظهر اياماً بعد الحادثة وتحتهُ مادة صفراء كانها مدّة ثم زالت المادة تدريجاً وعند تمام زوالها لم يعد البؤبوء يظهر البتة وصار الولد لا يرى بالعين شيئاً وعندئذٍ أُخذ الى طبيب الماني فظنّ الطبيب ان البؤبوء قد تغطى بطبقة فيدعو الامر الى عملية جراحية لازالة تلك الطبقة . فاجرى الطبيب العملية ولكن ظهر منظر العين بعد العملية مثلهُ قبلها فالبؤبوء غير ظاهر ولون القزحيَّة مكدر قليلاً والولد لا يرى بعينهِ شيئاً وان ظهر للناظر اليهِ عن بعد كأن لا ضرر في عينهِ وحكم الطبيب بعد العملية بيبوسة العصب البصريّ فهل من رجاء بعد في شفاء عين الولد وما العلاج اللازم

ج يظهر من كلامكم ان العين اصيبت بالتهاب في القزحية انتهى بانقباضها والتصاقها بالعدسة فلم يعد يظهر البؤبوء والطبيب الذي اجرى العملية كان قصدهُ عمل حدقة اصطناعية وهو مصيب في ذلك وسبب عدم نجاحهِ على الغالب هو ان الالتهاب كان قد امتدّ الى المشيمية والشبكية فالعصب البصري ففي هذه الحالة لا رجاء في شفاء العين وعلى كل حال يصعب كثيرًا تشخيص الحالة عن بعد

(٢) المساكن المسكونة

الاسكندرية . الخواجه ارنست حسون . أصحيح ما يزعمهُ الناس وهو ان بعض المساكن يكون مسكوناً اي يوجد فيهِ عفاريت وما اشبه

ج كلاَّ وكل ما يروى من هذا القبيل اوهام وخرافات لا صحَّة لها لانهُ لم يثبت منهُ شيءٌ لدى التحقيق

(٣) علامات الاستفهام والتعجب

ام درمان عبد الله افندي العربي . ارى

الكتّاب في مصر يستعملون هاتين العلامتين الافرنجيتين ? و ! للاستفهام والتعجُّب فهل استعملها الكتّاب الشرقيون الاقدمون قبلاً وهل عندنا في العربية ما يقوم مقامهما

ج لم يستعملها كتّاب العربية الاَّ منذ عهد قريب حيث يراد تأكيد الاستفهام والتعجُّب او يخشى اللبس · ومعلوم ان للاستفهام والتعجب في العربية ادوات خاصَّة ولكن قد لا تظهر او لا يتَّضح مدلولها كما اذا حذفت همزة الاستفهام قبل اداة التعريف وكما اذا لم يظهر الاعراب بعد ما التعجبية فتلتبس بالاستفهامية او بالنافية . ولا بأس باستعمال كل ما يزيد المعنى وضوحاً لان زيادة الخير خير

(٤) الجنسية الاجنبية

منتربال بكندا . الخواجه جرجس حنا جبور الماردبني · هل تعتبر الدولة العثمانية المتجنسين بالجنسية الانكليزية وهم في الممالك العثمانية كاعتبارها للانكليز انفسهم

ج اذا كانوا اصلاً من رعاياها فلا تعتبرهم كالانكليز الاَّ اذا صادقت على تجنسهم واذا كانوا اصلاً من غير رعاياها كالايرانيين والافغانيين ونحوهم اعتبرتهم كالانكليز تماماً

(٥) التجنس في المستعمرات

ومنهُ · هل مَن يحصل على الجنسية الانكليزية من العثمانيين من احدى مستعمرات انكلترا كالهند وكندا واستراليا تعتبر جنسيتهُ هذه كما لو نالها في البلاد الانكليزية نفسها

ج نعم اي ان الدولة العلية تعتبرهُ متجنساً بالجنسية الانكليزية اذا صادقت على تجنسهِ والاَّ فلا وهاكم نص القانون العثماني المتعلق بذلك

" ان الاشخاص الذين هم من تبعة السلطنة السنية ويدخلون في التابعية الاجنبيَّة برخصة الحكومة السنية يعتبرون ويعاملون بمنزلة تبعة اجنبية من تاريخ تبديل تابعيتهم ولكن مَن دخل في تابعيَّة اجنبيَّة بدون رخصة من جانب الحكومة السنية تعتبر تابعيتهُ الجديدة هذه كأنها لم تكن · · · وفي الاجمال لا يستطيع احد من التبعة العثمانية في اي حال ان يترك تابعيتهُ الاَّ بعد ان يستحصل الرخصة بموجب ارادة سنية (قانون التابعية العثمانية المادة الخامسة) وايضاً " ان اولاد الاشخاص الذين خرجوا من تابعية الدولة العلية او حُرِموها ولو كانوا قصَّراً لا يتبعون صفة تابعية آبائهم ويبقون في تبعية السلطنة السنيَّة " (المادة الثامنة)

(٦) حماية المتجنسين

ومنهُ · هل تحافظ الدولة الانكليزية على المتجنسين بجنسيتها من العثمانيين حيثما كانوا موجودين ولو خارج ممالكها ومستعمراتها وهل يلزمهم ان يأخذوا الباسبورت وقت السفر ويعرضوهُ على قنصل انكلترا

ج تحافظ عليهم وتعاملهم حسب ما بينها و بين الممالك التي هم فيها من المعاهدات

(٧) الاجانب في مصر والسودان

ومنهُ . ما هو مركز العثماني المتجنس بالجنسيَّة الانكليزية في مصر والسودان وهل يعامل مثل الانكليز

ج نعم اي انهُ يتمتع بالامتيازات الاجنبية في مصر فتنظر قضاياهُ المدنية في المحكمة المختلطة والجنائية في القنصلاتو الانكليزية واما في السودان فلا امتيازات للاجانب فيحاكم هو والانكليز في المحاكم السودانية مثل غيرهم من سكان السودان . وكل العثمانيين المتجنسين بجنسيات اجنبيَّة يكون اولادهم عثمانيين وتقسم مواريثهم حسب الشريعة العثمانية

(٨) النفس بعد الموت

ومنهُ . طالما لا وجود للنفس الأَ باحياء المادة او باتحاد المادة مع الحياة الحيوانية فكيف يمكن ان تكون النفس عديمة الممات بعد انفصال المادة عن الحياة او بعد الموت . وهل تعلم النفس بعد الموت بوجودها الحاضر او الماضي حينما كانت متحدة بالجسد وهل النفس عديمة التالم بعد الموت

ج يظهر لنا انكم تطلبون منا ان نجيبكم عن هذه المسائل من باب علمي طبيعي اي من باب ما عُلم بالاستقراء والامتحان فعلوم الاستقراء والامتحان لا تنفي وجود النفس بل تثبت وجود قوة في الانسان غير جسمهِ المادي . وهي التي يسميها الروحيون نفساً . وتثبت ايضاً ان النفس توجد ولو لم تكن متصلة بالمادة لانها تنفي التلاشي . ولا تنفي علم النفس بحاضرها وماضيها . وان كانت النفس تعلم شيئًا وهي متصلة بالجسد فليس ما يوجب زوال هذا العلم منها اذا فارقت الجسد . واذا كان الشعور من صفات النفس فليس ما يمنع شعورها بالالم الادبي بعد مفارقتها للجسد

(٩) شعور العجماوات بالطرب

مصر . محمد افندي مغازي البرقوي . هل للحيوان الاعجم شعور يدرك بهِ الغناء فيطرب لسماعهِ

ج روى الثقات انهم رأَوا بعض الحيوانات تطرب من سماع الغناء اما نحن فلم نرَ حتى الآن حيواناً يطرب حقيقة من سماع الغناء ولكننا نظن ان الجمال تطرب من سماع حداء الحادي والظاهر ان تأْثير الغناء في بعض الحيوانات شخصي لا نوعي فقد روي عن فارة انها كانت تطرب من سماع الاصوات الموسيقية فجربنا فعل الاصوات الموسيقية بفيران كثيرة فلم نرَ لها تأْثيرًا فيها . ورأَينا الدبوك الروميَّة تتأَثر من بعض الاصوات تأَثرًا شديدًا لكن يعسر الحكم في انهُ طرب او اشمئزاز . ونرى خيل الجنود تصغي الى نغم الموسيقى وتوقع خطواتها بحسبها ولكن يحتمل ان الفرسان يرشدونها الى ذلك

بحركاتهم ولو على غير انتباه منهم

(١٠) احراش سورية

مدرسة نيويورك الجامعة . متري افندي نجار . هل في سورية احراش وما نوع شجرها وكم اتساعها وهل الحكومة مهتمة بشأنها وبتوسيع نطاقها

ج لم نرَ حتى الآن بحثاً لاحد في هذا الموضوع ولذلك ذكرنا سؤالكم لكي يطلع عليهِ ابناء سورية المقيمون فيها عسى ان يجيب احد منهم الجواب الشافي عنهُ . والذي بقي في بالنا ان في لبنان احراشاً كثيرة اكثرها من الصنوبر كحرش بيروت واحراش المتن والعرقوب وبعضها من السنديان كحرش الشعرة في بلاد بعلبك او من الارز كارز لبنان وارز الباروك . او الشربين والملول وما اشبه . وفي شمال سورية وجنوبها احراش كثيرة من الارز والسنديان وقد جار الناس على الاحراش بالحرق لاستقطار القطران من الارز والاشجار التي من جنسهِ ولعمل الفحم من السنديان ونحوهِ من الاشجار واستمروا على ذلك الى زمن الحرب الاهلية سنة ١٨٦٠ ثم اهتمَّ فرنكو باشا متصرف جبل لبنان بزرع غابات الصنوبر فيهِ فزرعت في اماكن كثيرة واهتمَّ مَن بعدهُ بتصوين ارز لبنان ولولا قطعان المعزى الكثيرة في لبنان لكانت الاحراش فيهِ اكثر واوسع مما هي الآن . ولا يظهر ان الحكومة مهتمة اهتماماً كبيراً بحفظ الاحراش في سورية ولكن الاهالي صاروا يهتمون بحفظها فالمملوك منها يهتم بهِ مالكوهُ والمشاع يهتم بهِ اهل البلد التابع لها ولاسيما بعد ان قسمت الاراضي المشاعة بين البلدان المجاورة حتى الاحراش المتنازع في ملكيتها ولو بالمشاع يهتم المتنازعون بمنع الاعتداء عليها . ولو زيدت العناية بغرس الاحراش وحفظها لكان منها ربح وافر للبلاد

(١١) ضرب الجنيه المصري

مصر . عبد المجيد افندي سليمان . لماذا لا يضرب الجنيه المصري الآن وما هي المصلحة التي روعيت في ابطالهِ أَوَ لا ترون ان في وجودهِ اماناً لمصر من الوقوع في ازمة مالية كالتي وقعت فيها في هذه الايام والتي لم ننظر فيها رأي المقتطف الذي عودنا الخوض في مثل هذا المبحث وهو من الاهمية بمكان

ج لا نرى مانعاً يمنع من ضرب الجنيه المصري الاَّ قلة سبائك الذهب في هذا القطر ولكن اذا شاءت الحكومة ان تعود الى ضربهِ فلا يتعذَّر عليها ان تشتري سبائك الذهب من اوربا او ان تصك الجنيهات فيها واذا كثرت الجنيهات المصرية في هذا القطر فقد تؤَثّر كثرتها في تقليل الضيقة المالية ولكنها لا تزيلها لان اغنياء القطر لا يهتمون بحركة النقود فتراهم يودعون اموالهم البنوك ولو بقيت فيها اعواماً كثيرة من غير ربح . ويقال ان في بنوك القاهرة الآن ثلاثة

ملايين من الجنيهات لاغنياء مصر مودعة من غير ربح او بربح قليل نحو ٢ ١/٢ في المئة . اما الضيقة الحاضرة فاسبابها كثيرة اهمها (١) خسائر الناس الكبيرة بالمضاربات (٢) خوف البنوك من مد عملائها بالاموال حسب العادة لئلاَّ يضاربوا بها او يوفوا بها ديونًا عليهم (٣) غلاء النقود في اوربا على اثر الازمة المالية التي وقعت في اميركا (٤) كثرة اسراف القطر المترتب على نجاحهِ في السنين الاخيرة فان قيمة الواردات زادت زيادة فاحشة في العام الماضي والذي قبلهُ وقد دفع القطر ثمن الزيادة فخسر اكثر ما دفعهُ ولما رأى بائعو الكماليات والزخارف ان الناس في سعة جعلوا يغالون بثمن السلع فما يدفعون ثمنهُ في فرنسا جنيهين باعوهُ في مصر باربعة جنيهات او خمسة فكل ما ربحوهُ خسرهُ اهالي القطر . وجاء رخص ثمن القطن الآن ثالثة الاثافي . ولا تصلح الحال وتعود المياه الى مجاريها الاَّ بالامتناع عن المضاربة وتقليل النفقات والاهتمام بزيادة المكاسب التي نكسبها من الخارج . وشأن البلاد كلها في ذلك شأن كل بيت على حدتهِ فان رب البيت اذا رأى الخراب يتهددهُ لزمهُ ان يجتهد ليزيد ربحهُ وتقل نفقتهُ وان يتجنَّب كل الاعمال التي يدلُّ الاختبار على انها غير مأمونة العاقبة

(١٢) نور كنيسة القيامة

الاسكندرية . احد المشتركين . هل النور الذي يشاهد في كنيسة القيامة بالقدس الشريف صباح يوم عيد الفصح حسب الطقس الشرقي قديم العهد ومتى ظهر اولاً

ج ذكر الدكتور ربنصن في كتابهِ المشهور عن فلسطين ان الراهب برنهارد الحكيم هو اول من ذكر هذا النور وذلك سنة ٨٦٧ للميلاد اي منذ الف واربعين سنة فقد قال انهُ بعد خدمة القداس ينزل ملاك وتنار المصابيح المعلقة فوق القبر فيعطي البطريرك هذه النار (النور) الى المطران والى سائر الشعب لكي ينير كلٌّ منهم بيتهُ

وقال الارشديكن دولنج انهُ توجد اشارة الى هذا النور في تواريخ رودلفس غلابر سنة ١٠٤٨ وفي رحلة الراهب الروسي دانيال سنة ١١٠٦ الى ١١٠٧ حيث قال ان امام القبر قنديلاً مشتعلاً يطفئُ من نفسهِ يوم الجمعة الحزينة ثم يضيءُ من نفسهِ في الساعة التي قام فيها الرب

ويقال الآن ان البطريرك الاورشليمي لا يدَّعي انهُ يصنع اعجوبةً بل يقول ان هذا النور رمز لانتشار التعليم المسيحي في الدنيا وان خَدمة الدين الروسيين يودون ابطال ذلك ولا يسلمون ببقائهِ الاَّ ارضاء للزوار الشرقيين

باب الاخبار العلمية

شجرة الصابون

قرأنا في السينتفك اميركان وصفاً مسهباً لشجرة الصابون التي ذكرناها في العام الماضي في الصفحة ٢٦٣ من المقتطف . فقد جاء فيها ان المستر كدنر قنصل اميركا في الجزائر وصف هذه الشجرة في تقريرهِ فقال ان اصلها من بلاد الصين وهي جميلة المنظر ويبلغ ارتفاعها خمسين قدماً وتبتدئ تحمل ثمرًا حينما يصير عمرها ست سنوات . وخشبها محشوك الدقائق يصقل جيدًا ويصلح لعمل الاثاث . وتبلغ غلَّة الشجرة البالغة ٢٠٠ رطل (ليبرة) من الاثمار تباع بجنيهين الى اربعة جنيهات وفي كل ثمرة بزرة حولها قشر والمادة الصابونية في القشر وهي من ٣٠ الى ٤٠ في المئة منهُ . ويقطع القشر ويفرك بالماء فيرغي كالصابون تماماً وينظّف مثل الصابون الجيد بل لا يوجد صابون صناعي اجود من هذا الصابون الطبيعي او يقاربهُ في جودتهِ ولا سيما لغسل اليدين والوجه . ويمكن سحق القشور وعمل اقراص من مسحوقها فتستعمل كالواح الصابون تماماً ويمكن نقعها بالماء واستعمال نقاعتها لغسل الشعر . وكيفما استعملت فهي اجود من الصابون وارخص

وفي البزرة نواة فيها زيت اجود من زيت الزيتون من كل وجه سواء استعمل في الطعام او في الصناعة . ومقدار الزيت فيها كثير جدًّا اكثر ما في حبوب الزيتون. واذا كثر البزر حتى صار يمكن استخدام الآلات لعصر الزيت منهُ صار ثمنهُ رخيصاً ارخص من زيت بزر القطن وطعمهُ نيئاً اطيب من طعم اي زيت آخر . ويبقى من البزر كسب تأكلهُ الفراخ والمواشي وهو علف جيد جدًّا لها . وورق الشجرة علف للمواشي لا مثيل لهُ

ويمكن استعمال الثمر دواء في منع فيضان اللعاب والصرع . ويستعمل ايضاً منفثاً . ويقال ان بزرهُ اذا سحق وجُبل بالماء اوقف نوبات الصرع . ويوصف ربُّ الثمر دواء للمصابين بالمرض الاخضر او فقر الدم . انتهى

هذا ويليق بالجمعيَّة الزراعية الخديوية ان تجلب بزور هذه الشجرة من بلاد الجزائر وتزرعها في القطر المصري لانها اذا كانت لها كل هذه الخواص ووافقها هواء القطر المصري وتربتهُ كانت من اكبر النعم من حيث صابونها وزيتها وخشبها

الراديوم وحرارة الارض

لا يخفى ان حرارة الارض تزيد بالتعمُّق فيها كما ثبت بالامتحان وكان المظنون ان حرارة باطن الارض بقية من الحرارة القديمة التي كانت في الارض حينما كانت سائلة من شدة الحمو بعيد انفصالها عن الشمس او عن السديم الذي تكوَّنت منهُ الشمس وسياراتها ولكن لما كشف الراديوم وثبت ان فيهِ حرارة ذاتية وانهُ موجود في الارض ذهب الاستاذ رذرفرد الى ان حرارة الارض متولدة من الراديوم الذي فيها وحسب ان الراديوم الذي في قشرة الارض يشع كل الحرارة التي فيها · لكن الاستاذ سترت حسب ان حرارة الراديوم تزيد على الحرارة التي في الارض ولذلك فهو غير موجود في باطنها كما هو موجود في قشرتها وسمك قشرتها هذه لا يزيد على ٤٥ ميلاً وتحتها مادة غير جامدة لا تقل حرارتها عن ١٥٠٠ درجة بميزان سنتغراد

بن هدد ملك ارام

قال المسيو بونيون قنصل فرنسا في ما بين النهرين انهُ كشفت كتابات ارامية من القرن الثامن قبل المسيح تشير الى بن هدد ابن حزائيل ملك دمشق الذي يشار اليهِ في سفر ارميا وعاموص والملوك الثاني من اسفار التوراة · ويقال في هذه الكتابة ان ملكاً من ملوك سورية اسمهُ زاكر تغلَّب على بن هدد واعوانهِ · وكانت المعركة في مكان اسمهُ هزرك · واسم الاله الذي يقول بن هدد انهُ اعانهُ بعل شميم او اله السماء · واسم بن هدد في الكتابة بار هدد

قاسم بك امين

فُجع القضاء والاصلاح بوفاة قاسم بك امين فجأة في الحادي والعشرين من ابريل مساء وهو صاحب كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة · وسنوافي القراء بخلاصة ترجمتهِ في الجزء التالي

ترعة السويس

ترتيب الدول التجارية بحسب محمول سفنها التي في مرت في ترعة السويس في العام الماضي

(١)	انكلترا	١٢٩٨٥٢٤٥	طنًا
(٢)	المانيا	٠٣١٧٠٤٤٣	"
(٣)	فرنسا	٠١١٩٨٧٣٦	"
(٤)	هولندا	٠٠٨٨٠٨٧٧	"
(٥)	النمسا	٠٠٦٠٦٩٦٩	"
(٦)	اليابان	٠٠٣٣٧٣٠١	"
(٧)	روسيا	٠٠٣٢٣٨٦٣	"
(٨)	ايطاليا	٠٠٢٨٣٧٩٠	"
(٩)	الدنمارك	٠٠١٣٦٣٠١	"

(١٠)	اسبانيا	٠٠١٠٥٧٦٦ طنًّا
(١١)	تركيا	٠٠٠٩٣٣١٩ "
(١٢)	نروج	٠٠٠٧٢٣٨١ "
(١٣)	اليونان	٠٠٠٦٠٤١١ "

المواني الكبيرة

ذكرنا في الجدولين التاليين المواني التجارية الكبيرة التي اتى من كلٍّ منها في العام الماضي من السفن المارة بترعة السويس ما محمولهُ اكثر من نصف مليون طن وذهب اليها من السفن ما محمولهُ اكثر من نصف مليون طن

اسم المينا	محمول السفن الآتية منها
(١) لفربول بانكلترا	٢١٨٦٩٤٠
(٢) لندن "	١٨٢٦٧٣٤
(٣) كلكتا "	١٧٥١٣٣٢
(٤) بمباي بالهند	١٦٢١٤٠١
(٥) يوكاهاما باليابان	١١٢٣١٦٥
(٦) كراشي بالهند	١٠٠٤٩٥٧
(٧) سدني باستراليا	٠٩٧٣٠٦٨
(٨) رنغون بالهند	٠٦٤٦٦٠٨
(٩) مرسيليا بفرنسا	٠٦١٧٣٢٠
(١٠) بتافيا في جاوى	٠٠٥٤١٩٩

اسم المينا	محمول السفن الذاهبة اليها
(١) لندن بانكلترا	٢٧١٩٧١٦
(٢) كلكتا "	١٤٤٢٤٦٥
(٣) همبرج بالمانيا	١٣٧١٣٦٧
(٤) بمباي بالهند	١٢٩٣٩٦١
(٥) مرسيليا بفرنسا	١١٨٢٤١٢
(٦) يوكاهاما باليابان	٠٨٥١٨٩٦
(٧) بورت سعيد بمصر	٠٥٨٢٧٦١
(٨) لفربول	٠٥٣٧٧٢٢
(٩) قراشي بالهند	٠٥٠٠٩٢١

الاستاذ دَرَنبرج

نُعي الينا من باريس الاستاذ درنبرج المستشرق الشهير. توفي فجأة صباح الاحد في الثاني عشر من ابريل. قال مكاتبنا "لقيتهُ يوم السبت وتحدثنا طويلاً فاشار الى ما ذكرتموهُ عنهُ في المقتطف الاخير (صفحة ٣٠٨) شاكرًا فضلكم. ولقد ذهب مأسوفًا عليهِ لانهُ كان من المستشرقين المعدودين في فرنسا واحد اعضاء اكادمية العلوم المشهورين فشيعت جنازتهُ بعد ظهر الثلاثاء باحتفال عظيم

الجوهر الفرد

ذكرنا في مقتطف مارس ان اول مَن قال بالجوهر الفرد رجل من اهالي صيداء اسمهُ موخوس على ما رواهُ بوسيدونيوس الفيلسوف السوري الذي نشأَ قبل المسيح باكثر من مئة سنة. وقد كتب بعضهم الآن الى جريدة نانشر يقول ان عالمًا انكليزيًا اسمهُ رلف كدورث ألَّف كتابًا في اواسط

القرن السابع عشر اشار فيهِ الى ما ذكرهُ بوسيدونيوس من ان القائل بالجوهر الفرد رجل من اهل صيداء اسمهُ موخوس ورجح ان موخوس هذا هو موسى الكليم نفسهُ فان جمبليكوس قال في سيرة فيثاغورس الفيلسوف انهُ اقام مدةً في مدينة صيداء وتذاكر مع الانبياء خلفاء موخوس الفيلسوف وتعلَّم منهم وهم من كهنة الفينيقيين ولذلك وجب ان ينسب القول بالجوهر الفرد الى موسى لا الى ابيقورس ولا الى ديموقريطس " . وليس العبرة عندنا بمن قال بهذا القول اولاً ولا بكونهِ سوريًّا او يهوديًّا بل العبرة ان سلفاءنا كانوا يبحثون منذ خمسة وعشرين قرنًا في مواضيع لا يفهمها ابناؤُهم الآن ولا تخطر على بالهم

الاحتفال بحافظ

حافظ افندي ابرهيم شاعر مشهور دأبهُ التنويه بفضل الفضلاء من السوريين والفضل يعرفهُ ذووهُ فاقام بعض السوريين حفلة لاكرامهِ في فندق شبرد وتلوا الخطب والقصائد في مدحهِ واهدوا اليهِ دواة من الفضة وقلمًا من الذهب فاجابهم بقصيدة عامرة الابيات قال فيها

لمصر ام لربوع الشام تنتسبُ
هنا العلى وهناك المجد والحسبُ
ركنان للشرق لا زالت ربوعهما
قلبُ الهلال عليها خافقٌ يجبُ
خدران (للضاد) لم تهتك ستورهما
ولا تحوَّل عن مغناهما الأَدبُ
أُم اللغات غداة الفخر أُمهما
وان سأَلت عن الآباء فالعربُ
ايرغبان عن الحسني وبينهما
في رائعات المعالي ذلك النسبُ
ولا يمتّان بالقربى وبينهما
تلك القرابة لم يقطع لها سببُ
اذا أَلمت بوادي النيل نازلةٌ
باتت لهُ راسيات الشام تضطربُ
وان دعا في ثرى الاهرام ذو أَلمٍ
اجابهُ في ذرى لبنان منتحبُ
لو اخلص النيل والأُردنُّ ودّهما
تصافحت منهما الامواه والعُشبُ
بالواديين تمشي الفخر مشيتهُ
يحفُّ ناحيتيهِ الجود والدأْبُ
فسال هذا سخاءً دونهُ ديمٌ
وسال ذاك مضاءً دونهُ العضبُ
نسيمَ لبنان كم جادتك عاطرة
من الرياض وكم حياك منسكبُ
في الشرق والغرب انفاس مسعّرةٌ
تهفو اليك واكباد بها لهبُ
لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلاً
من طيب رياك لكنّ العلا تعبُ
كم غادةٍ بربوع الشام باكيةٍ
على اليفٍ لها يرمي بهِ الطلبُ

يمضي ولا حلية الأَّ عزيمتهُ
ويثني وحلاهُ المجد والذهبُ
يكرُّ صرف الليالي عنهُ منقلباً
وعزمهُ ليس يدري كيف ينقلبُ
بارض (كولمبَ) ابطالٌ غطارفة
اسدٌ جياعٌ اذا ما ووثبوا وَثبوا
لم يحمهم عَلَمٌ فيها ولا عددٌ
سوى مضاء تحامى وردهُ النوبُ
اسطولهم املٌ في البحر مرتحلٌ
وجيشهم عملٌ في البرّ مغتربُ
لهم بكلّ خضمّ مسربٌ نهجٌ
وفي ذرى كل طودٍ مسلك عجبُ
لم تبدُ بارقةٌ في أُفق منتجعٍ
الأَّ وكان لها بالشام مرتقبُ
ما عيبهم انهم في الارض قد نثروا
فالشهب منثورة مذ كانت الشهبُ
ولم يضرهم سراهُ في مناكبها
فكل حيّ لهُ في الكون مضطربُ
رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا
الى المجرة ركباً صاعداً ركبوا
او قيل في الشمس للراجين منتجع
مدُّوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
سعوا الى الكسب محموداً وما فتئت
امُّ اللغات بذاك السعي تكتسبُ
فأين كان الشآميون كان لها
عيشٌ جديد وفضل ليس يحتجبُ
هذي يدي عن بني مصر أصافحكم
فصافحوها تصافح نفسها العربُ
فما الكنانة الأَّ الشام عاج على
ربوعها من بنيها سادة نجبُ
لولا رجالٌ تغالوا في سياستهم
منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
ان يكتبوا لي ذنباً في مودتهم
فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا

ومن الخطب التي تليت حينئذٍ خطبة لسليمان افندي البستاني في الشعر والشعراء وخطبة لسليم بك باخس في اكرام الرجال للرجال ومن القصائد قصيدة لنقولا افندي رزق الله وقصيدة للامير شكيب ارسلان وقصيدة للافوكاتو امين افندي البستاني وقصيدة لاسعد افندي رستم وقصيدة للدكتور ابرهيم شدودي . وحبذا لو جمعت القصائد والخطب في مجموعة واحدة حرصاً على فوائدها وتذكاراً للمحتفل بهِ

وطن الفيل

انشأ المستر لَل مقالة في اصل الفيل ونشوئهِ نشرها في مجلة العلم الاميركية بيَّن فيها ان وطن الفيل الاصلي بلاد الفيوم في القطر المصري حيث وجدت آثار اسلافهِ وهي من عصر الايوسين من العصور الجيولوجيَّة ثم انتقلت اسلاف الافيال من افريقية الى اوربا على لسان من البركان يصل تونس بصقلية وانتشرت في اوربا

وانتقلت منها الى اسيا وتغيرَّت هناك الى ان صارت افيالاً حقيقية ثم هاجرت من اسيا شرقاً وغرباً فالتي ذهبت شرقاً وصلت الى اميركا بطريق بوغاز بيرنغ والتي ذهبت غرباً وصلت الى افريقية هي والزرافة والأكابي والايَّل فعاد الفيل الى وطنهِ الاصلي في قارة افريقية بعد ان تحوَّل في قارة اسيا . وسنلخص هذه المقالة في بعض الاجزاء التالية

ذهب الهند

بلغ الذهب المستخرج من مناجم ميسور ببلاد الهند ٢٣ مليوناً و ٣٨٤ الف جنيه وذلك من حين فتحت سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٩٠٥

تجارة المغيط

المغيط او اللستك او الصمغ الهندي مادة معروفة اضحت كثيرة الاستعمال لأُطر المركبات على انواعها . وقد بلغ الوارد منهُ الى معامل اوربا واميركا في العام الماضي ٦٩ الف طن وكان الوارد في العام الذي قبلهُ ٦٥ الف طن واكثرهُ من البرازيل فان الوارد منها بلغ ٤١٥٠٠ طن وكان ٣٨٠٠٠ طن سنة ١٩٠٦ . وورد من غربي افريقية ١٧٠٠٠ طن كما ورد منها سنة ١٩ ٦ . والمجال واسع جداً لزرع الاشجار والانجم التي يستخرج منها المغيط لان تجارتهُ وصناعتهُ آخذتان في الاتساع

احذية لا تتعب الرجل

الحذاء الجديد يتعب لابسهُ في الغالب وان لم يتعبهُ جديداً اتسع متى قدم وتغير هندامهُ . وقد استنبط الفرنسويون طريقة لعمل احذية لا تتعب الاقدام وذلك بان يفرغوا الجبس في الحذاء القديم فيخرج الجبس قالباً مثل قدم الذي كان لابساً ذلك الحذاء ثم يصنعون قالباً من الخشب مثل قالب الجبس تماماً ويصنعون الحذاء عليهِ فيخرج كالحذاء القديم في شكلهِ الداخلي اي كقدم اللابس

غرائب حسابية

الغريبة الاولى . خذ الاعداد الوترية ١ و٣ و ٥ و ٧ الخ واجمع اي سلسلة اردت منها مبتدئاً من الواحد وربّع عدد الحلقات فالمربع يعدل مجموع الارقام في السلسلة . مثال ذلك السلسلة ١ و٣ و٥ و٧ و٩ و ١١ . في هذه السلسلة ٦ حلقات ومربع الستة ٣٦ فمجموع الحلقات ٣٦

الغريبة الثانية . اذا كعَّبت الاعداد الطبيعية ١ و ٢ و ٣ و ٤ الخ فمجموع مكعباتها يساوي مربع مجموعها . مثال ذلك ان مكعب ١ و ٢ و ٣ هو ١ و ٨ و ٢٧ = ٣٦ ومجموع ١ و ٢ و ٣ = ٦ مربعها ٣٦

الغريبة الثالثة اذا قسم واحد على سبعة

فالخارج من ذلك كسر عشري غير متناهٍ وهو الخ ٠٫١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ ١٤٢٨٥٧ بتكرير هذه الارقام كلها وهي ١٤٢٨٥٧

الغريبة الرابعة . اذا ضُربت هذه الارقام وهي ١٤٢٨٥٧ في ١ بقيت على حالها طبعاً واذا ضربت في ٢ حصل ٢٨٥٧١٤ اي الارقام نفسها بعد نقل الرقمين الاخيرين من اليسار الى اليمين . واذا ضُربت في ٣ حصل ٤٢٨٥٧١ باعادة الرقم ٤ الى اليسار . واذا ضربت في ٤ حصل ٥٧١٤٢٨ واذا ضربت في ٥ حصل ٧١٤٢٨٥ واذا ضربت في ٦ حصل ٨٥٧١٤٢ اي تبقى الارقام نفسها ويبقى ترتيبها ايضاً ولكن ينتقل بعضها من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين كأنها مكتوبة في دائرة فلا تتغير بل يتغير المكان الذي يحسب منزلة الآحاد

كتاب المصابيح للبغوي

وقعت لنا نسخة قديمة من هذا الكتاب كتبت سنة ٦٩٦ للهجرة اي منذ ٦٣٠ سنة وقد جاء في آخرها ما نصهُ

"وقد وقع الفراغ من كتبتهِ يوم الخميس في اواخر شهر الله الاصم رجب من شهور سنة ست وتسعين وستمائة بحمد الله وحسن توفيقهِ . صاحبهُ وكاتبهُ العبد الضعيف اقل خلق الله واعجز عبادهِ الراجي الى رحمة الله وغفرانهِ علي بن محمد بن لزبك المتوطن بقرية بيس اللهمَّ اغفر لكاتبهِ ولقارئهِ ولمن نظر ولمن قال آمين رب العالمين حامداً ومصلياً على محمد وعترتهِ الطاهرين الطيبين"

والكتاب الى هنا في ٢٤٠ ورقة وبعدها ملحق فيهِ سبع ورقات . وخط الكتاب على تمام الوضوح وبعضهُ مضبوط بالشكل وعلى هوامشهِ وبين سطورهِ حواشٍ كثيرة تفسيرية بخطوط مختلفة والمظنون ان نسختنا هذه اقدم نسخة من كتاب المصابيح

مانعة الغرق

ان المنطقة التي تكون في السفن ليلبسها الانسان اذا غرقت السفينة وينجو بها قلما تصلح للنجاة لانها لا تبقي رأسهُ فوق الماء دائماً وقد استنبط بعضهم منطقة جديدة فيها عوامتان وشرائط تشد على الصدر والظهر فتقع العوامتان عند اعلى الصدر وعند اعلى الظهر فيبقى رأس الانسان فوق الماء ولو اراد ان ينزلهُ تحت الماء ما استطاع . واضاف الى هذه المنطقة قبعة يلبسها على رأسة لها ذيل يغطي رقبتهُ ليقيها من الشمس

البارجة ايوامي اليابانية

البارجة ايوامي اليابانية هي البارجة اورل الروسية غنمها اليابانيون ولم يتركوها على ما كانت عليهِ مع انها كانت من اقوى البوارج بل اصلحوها حسبما استفادوا من

اختبارهم الحربي فقصروا كل مدخنة من مدخنتيها عشرين قدماً ونزعوا الابراج التي حول صاريتيها وخفضوا سطحها . اي انهم حوَّلوها من الاسلوب الفرنسوي الى الاسلوب الانكليزي فثبت من ذلك ان الاسلوب الانكليزي لبناء البوارج افضل من غيرهِ

ذوات الاذناب

يظهر هذه السنة اربعة من ذوات الاذناب الدورية احدها مذنب انكي الذي كشف اولاً سنة ١٨١٨ ثم ظهر ثانية سنة ١٨٢٢ ومن ثم تكرَّر ظهورهُ كل نحو ثلاث سنوات وثلث سنة ويبطئ سيرهُ نحو ثلثي يوم في كل دورة من مقاومة المواد المنتشرة في الفضاء . وقد ظهر هذا المذنب الآن ولكنهُ لا يرى الاَّ بالتلسكوب والثاني مذنب تمبل الذي روقب اولاً سنة ١٨٦٩ ومدتهُ خمس سنوات ونصف سنة ولذلك ظهر سنة ١٨٨٥ و١٨٩١ و١٨٩٧ و١٩٠٣

والثالث مذنب بننج وقد شوهد اولاً سنة ١٨٨١ ومدتهُ ثمان سنوات

والرابع المذنب الذي اكتشفهُ جيوكوبيني سنة ١٩٠٠

عصارة الصبير للبعوض

ان الطريقة المستعملة الآن لاماتة دود البعوض من المستنقعات هي صب زيت البترول فيها . وقد كتب قنصل الولايات المتحدة في بالرمو بايطاليا يقول انهُ اذا قطعت قروط الصبير ومرثت في الماء حتى خرجت العصارة اللزجة منها وصبت هذه العصارة في المستنقعات التي فيها دود البعوض اماتتهُ حالاً بالاختناق وهي تفضل على زيت البترول في البلاد الحارة لان زيت البترول يتبخر فيها سريعاً اما عصارة الصبير فتبقى اسبوعين على حالها

منع البرد

يقع البرَد احياناً في بعض البلدان فيتلف زرعها وقد زعم البعض ان اطلاق المدافع في الجو يمنع وقوع البرَد واشار بعضهم الآن بعمل بلونات صغيرة يطلقها في الجو وفي كل منها قليل من الديناميت فيطلق في الجو حينما يصل البلون الى الغيوم التي يتكون فيها البرَد فيبددها ويمنع وقوع البرَد منها

سكان الكواكب

كتب الدكتور لويس روبنصن مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية ابان فيها بادلة بيولوجيَّة كثيرة انهُ يستحيل ان يكون الانسان موجوداً في غير الارض من الاجرام السموية لان الفواعل الكثيرة التي فعلت في نشوئهِ لم تتوفر في غير الارض

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثالث والثلاثين

٣٦١ الصروح الشاهقة (مصوَّرة)
٣٦٥ الذهب في العالم . لسليم بك مكاربوس
٣٦٩ الاطيان والضرائب بالقطر المصري . لجرجس بك حنين
٣٧٩ عبد الله المأمون . ص . ي
٣٨٧ نفوس الشعراء . للمرحومة عفيفة الشرتوني
٣٩٥ اسباب الاحتلال البريطاني
٣٩٩ في العزلة . لأمين افندي ريحاني
٤٠٨ التعريب . لحفني بك ناصف

* * *

٤٢١ باب المراسلة والمناظرة ✲ هل المريخ مسكون . حقوق المرأة . علاج لسع العقارب بام درمان
٤٣١ باب الزراعة ✲ البحر الابيض وموسم القطن . معامل الفراخ . الواردات الزراعية
٤٤٠ باب التقريظ والانتقاد ✲ كتاب معجم الادباء . التقرير السنوي . حياة الزوجين . فهرس كتب الكيمياء . كتاب جواهر الحكماء
٤٤٣ باب المسائل ✲ انقباض القزحية . المساكن المسكونة . علامات الاستفهام والتعجب . الجنسية الاجنبية . التجنس في المستعمرات . حماية المتجنسين . الاجانب في مصر والسودان . النفس بعد الموت . شعور الحيوانات بالطرب . احراش سورية . ضرب الجنيه المصري . نور كنيسة القيامة
٤٤٨ باب الاخبار العلمية ✲ وفيه ٢١ نبذة
رواية فتاة الفيوم ملحقة بالمقتطف